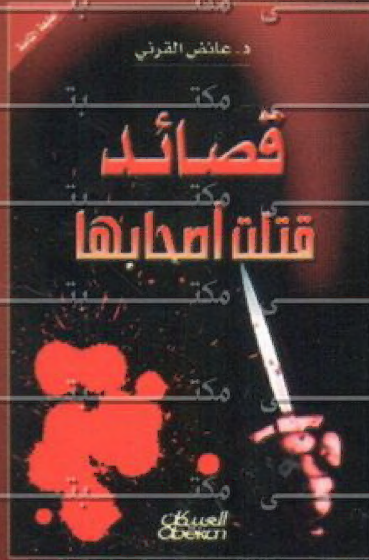


قصائد قتلت أمجادها

مكتبي

A
h
m
e
d

M
a
d
y



في هذا الكتاب قصائد قتلت أصحابها،

وسمكت دماءهم وقطعت رؤوسهم؛ لأنهم لحنوا

لحنافاً حشاً لا يصلحه الإخيل ولا سيبويه؛ إنهم

لم يراعوا أمانة الكلمة ولم يحسبوا مسؤولية

النطق، ولم يحفظوا اللسان، وإن بيتاً أزهق روح

صاحبه لهو خطير، وإن قصيدة قضت على

حياة قائلها لهي معضلة.

إن لهذه القصائد عبرة لشدة الحرف وزواد

القافية وحيلة الأقلام تقول لهم : مصائب قوم

عند قوم فوائد، ألا هل من محاسب لنفسه،

رادع لهواه، ملجم لشیطانه، فإن للقول مؤونة،

وللنطق تبعه، وللسان عشرات، إن الحروف

تكتب، وإن الجمل تسجل عند من لا تغيب عليه

غائبة ولا تخفى عليه خافية

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

وفي الحديث : «كف عليك لسانك» .

SAT 12-12-2009
Riyadh

ISBN: 978-9960-54-786-2



موضوع الكتاب: ١- الشعراء العرب-تراجم

٢- الشعراء العرب-نقد

موقعنا على الإنترنت:

<http://www.obeikanbookshop.com>

Am
8-11-2009
Sundus

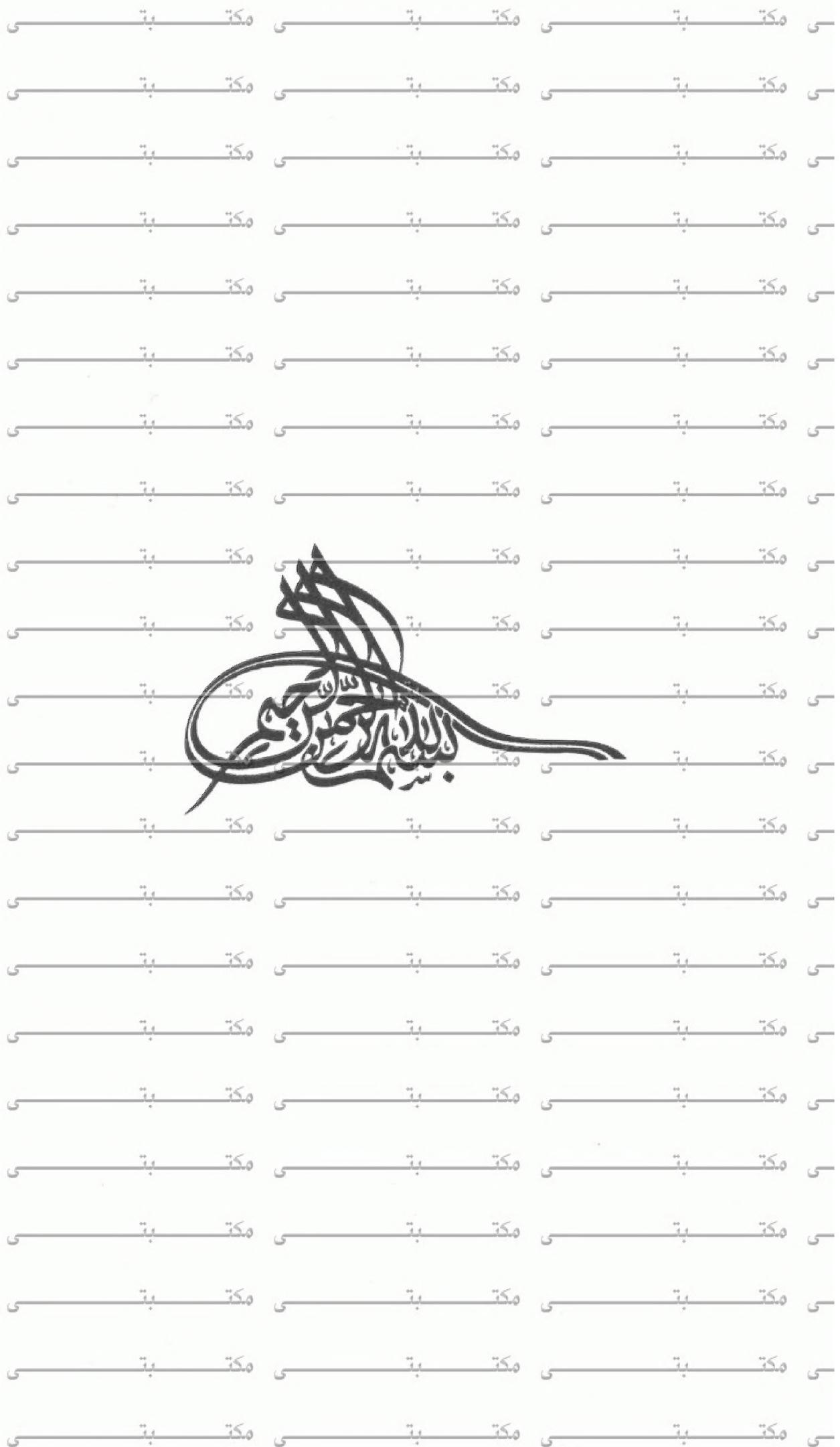
البريد
الخاص

عائض القرني

قصائد

قتلت أصحابها

العبيكان
Obekan



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
أبو الطيب المتنبي	
ترجمته	١١
من أشعاره الذائعة	١٣
مقتله	٣٤
طرفة بن العبد	
اسمه ولقبه	٤٧
ولادته، رعايته، لهوه	٤٨
اتصاله بعمر بن هند	٥٠
قصة مقتله	٥٢
مُعلَّقه	٥٩
الأعشى الهمداني	
ترجمته	٧٣
القصيدة التي قتلته	٨٠
صالح بن عبد القدوس	
ترجمته	٨٩
من مستحسن قصائده	٩٠
مقتله	٩٧

حماد عجرد

ترجمته ١٠٥

مقتله ١٠٩

دعبل الخزاعي

ترجمته ١١٧

أشهر قصائده ١١٧

مقتله ١٢٥

بشار بن برد

ترجمته ١٣١

مقتله ١٣٦

وضاح اليمن

ترجمته ١٥١

مقتله ١٥٩

السليك بن السلكة

ترجمته ١٦٥

مقتله ١٦٩

هدبة بن خشرم وزيادة بن زيد

ترجمتهما ١٧٥

سرد لقصة مقتلهما ١٧٥

مقتل علي بن جبلة العكوك

ترجمته ١٩١

غضب المأمون عليه ٢٣١

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله ومن والاه

وبعد:

فهذه قصائد قتلت أصحابها، وسفكت دماءهم وقطعت رؤوسهم؛ لأنهم لحنوا لحناً فاحشاً لا يصلحه الخليل ولا سيبويه؛ إنهم لم يراعوا أمانة الكلمة ولم يحسبوا مسؤولية النطق، ولم يحفظوا اللسان، وإن بيتاً أزهد روح صاحبه لهو خطير، وإن قصيدة قضت على حياة قائلها هي معضلة.

إن لهذه القصائد عبرة لشدة الحرف ورواد القافية وحملة الأقلام تقول لهم: مصائب قوم عند قوم فوائد، ألا هل من محاسب لنفسه، رادع لهواه، ملجم لشيطانه، فإن للقول مؤونة، وللنطق تبعه، ولللسان عثرات، إن الحروف تكتب، وإن الجمل تسجل عند من لا تغيب عليه غائبة ولا تخفى عليه خافية ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وفي الحديث: «كف عليك لسانك».

ولقد سجل القرآن كلمات أهلك أصحابها، فاللعين الطريد إبليس يقول: «أنا خير منه» فدحر وعذب، والرعيدي الخاسر فرعون يقول: «ما علمت لكم من إله غيري» فهلك ولعن، والفاشل عبدالله بن أبي يقول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»، فكبت وخزي،

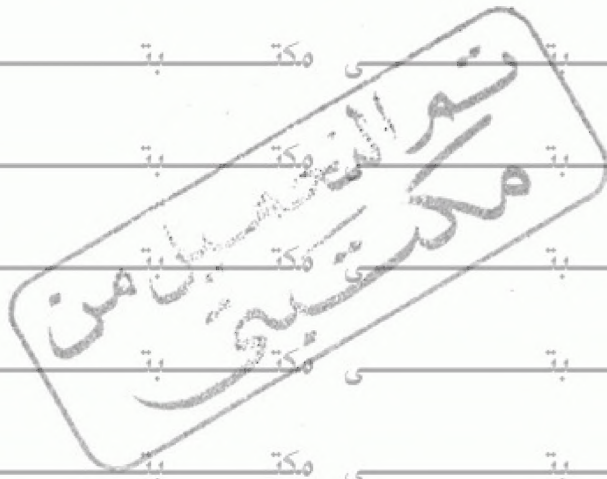
والمخذول الآخر يقول: «إئذن لي ولا تفتني» فأبعد وخسئ، والغبي الضال يقول: «لا تنفروا في الحر» فشقي وتعس، إلى آخر تلك القائمة الخائبة من اللافظين باللغو، والناطقين بالزور، والمتحدثين بالخطيئة.

فقيد أفاضلك، وراقب أفكارك، واحسب للكلمة حساباً، فإن الزلة ذلة، وخطل الكلم يوجب الندم، وهيا مع الكتاب لترى كيف يصرع الفحش صاحبه، وكيف يبيد الإثم حامله، وكيف يحقق الذنب بمقتطفه، وكل نفس بما كسبت رهينة.

عائض القرني

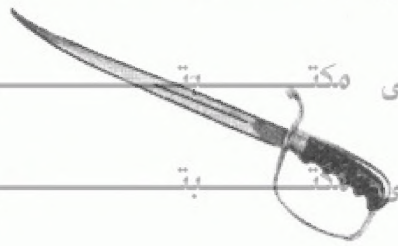
١٤٢٣/١/١ هـ





مقتل

أبي الطيب المتنبي



ترجمته^(١)

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، من بني جعفر بن سعد العشيرة بن مذحج من كهلان من قحطان من عرب الجنوب اليمنيين.

كانت ولادته في حي بني كندة بالكوفة سنة (٣٠٢هـ)، وقضى في ربوعها سني حياته الأولى، وكان يتردد فيها على الورّاقين يجمع العلم من أوراقهم.

انتقل إلى الشام سنة (٣٢٠هـ)، وما كاد يصل إلى اللاذقية حتى تورط في قصة النبوة ودخل من أجلها السجن بأمر من عامل الأخشيد، الذي ما لبث أن استتابه وأطلق سراحه بعد أن ذاق المتنبّي الأهوال، ورأى الموت رأي العين.

بعد خروجه من السجن هام على وجهه، إلى أن حط عصا الترحال في حضرة بدر بن عمار سنة (٣٢٨هـ).

ثم تنقل بين البلدان، مادحاً أمراءها ووجهاءها.

(١) الكتب المؤلفة عن حياة المتنبّي لا تحصى عدداً، انظر مجموعة منها في رسالة الدكتور عبدالله الجبوري: «أبو الطيب المتنبّي في آثار الدارسين».

اتصل بعد ذلك بسيف الدولة الحمداني سنة (٢٢٧هـ)، الذي جعله نديماً له في حلب، فمدحه المتنبّي بالقصائد الشهيرة التي أبقت ذكره.

إلا أن الحساد سرعان ما أفسدوا علاقته بسيف الدولة، وأوغروا صدره عليه، فاستجاب لأقوالهم وتلونّ عليه، ولم يثبت معه على حال، فلم يجد المتنبّي بعد ذلك إلا الرحيل، وخصوصاً بعد أن رماه أحدهم بدواة أو مفتاح أسال الدماء على وجهه في مجلس سيف الدولة الذي لم ينتصر له، فغضب أبو الطيب وغادر حلب متوجهاً إلى دمشق سنة (٢٤٦هـ).

ثم توجه بعد ذلك إلى مصر بعد أن استدعاه واليها (كافور الأخشيدي)، فقصر مديحه عليه طامعاً في ولاية عنده، إلا أن كافوراً أخذ يماطله قائلاً لمن راجعه في هذا الأمر: «هو - أي المتنبّي - في الفقر وعدم العون سمت نفسه إلى النبوة، فكيف يكون أمره إذا أصاب الولاية!»

فلما استيقن المتنبّي أن كافوراً لن يحقق له مطالبه أضمر الهرب من أرض مصر بعد أن زور قصائد الهجاء المقذع في كافور، وأخذ يرسلها في الآفاق بعد هروبه ذاك.

عاد المتنبّي إلى العراق، فدخل الكوفة - مسقط رأسه - سنة (٢٥١هـ)، ثم انتقل منها إلى بغداد، ثم إلى فارس مادحاً عضد الدولة.

بعدها عاد إلى بغداد، وعندما أصبح على مقربة من (دير العاقول) الذي يبعد عن بغداد مسافة خمسة عشر فرسخاً هجم عليه فاتك الأسدي وقتله - كما سيأتي -.

أما لقبه بالمتنبي فقد قيل فيه أمور كثيرة: أصحها أنه ادعى النبوة في بداية حياته إلى أن سُجن واستتيب - كما سبق، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن المتنبي: «وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الإفك والبهتان وهي لفظة المتنبي، الدالة على الكذب».

يعد المتنبي من أشعر أهل العربية، وأشهرهم أبياتاً بين الناس، حتى قال عنه الإمام الذهبي - رحمه الله -: «شاعر الزمان»، وقال - أيضاً -: «بلغ الذروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق».

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في ترجمته في (لسان الميزان): «نظم الشعر حتى بلغ الغاية، إلى أن فاق أهل عصره». ومن أشعاره التي سارت في الآفاق، قوله^(١):

أعزم مكان في الدنا سرح سابع
وخير جليس في الزمان كتاب

(١) من أراد الاطلاع على أبياته الجميلة فعليه برسالة: (من طيبات المتنبي) للأستاذ إبراهيم الأملعي، ورسالة: (المتنبي: حكمه وأمثاله) للأستاذ علي رضا.

وقوله:

وما قتل الأحرار كالعضو عنهم
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

* إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

* ووضع الندى في موضع السيف بالعلی
مضر، كوضع السيف في موضع الندى

وقوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد

وقوله:

* وإذا أتتك مدمتي من ناقص
فهی الشهادة لي بأني كامل

وقوله:

لا تعذر المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في أحشائه

وقوله:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله
إذا القول قبل القائلين مقولٌ

وقوله:

وإن تضق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال

وقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

وقوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً
وغنى به من لا يغني مفرداً

وقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ
فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

وقوله:

بم التعلل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا خل ولا سكن

وقوله:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً
وحسب المنيا أن يكن أمانياً

تمنيتها لما تمنيت أن ترى
صديقاً فأعياً أو عدواً مداجياً

وقوله:

عدوك مذموم بكل لسان
ولو كان من أعدائك القمران

ولله سرف في علاك وإنما
كلام العدى ضرب من الهديان

وقوله:

غريب من الخلان في كل بلدة
إذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله:

إني وإن لمت حاسدي فما
أنكر أني عـقـوبة لهم

وقوله:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني
إن النفيس غريب حيثما كانا

وقوله:

سوى وجع الحساد داو فإنه
إذا حل في قلب فليس يحولُ
ولا تطمعن من حاسد في مودة
وإن كنت تبديها له وتنيـلُ

وقوله:

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ
الجود يفقر والإقدام قتالُ

وقوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بدُّ

وقوله:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقوله:

أحقُّهم بالسيف مَنْ ضرب الطُّلى
وبالأمن من هانت عليه الشدائد

وقوله:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وقوله:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته
أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقوله:

لا يدرك المجد إلا سيد فطن
لما يشق على السادات فعَّالٌ

وقوله:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

ذل من يغبط الذليل بعيش
رب عيش أذل منه الحمام

وقوله:

يرى الجبناء أن العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقوله:

جود الرجال من الأيدي وجودهم
من اللسان فلا كانوا ولا الجود

وقوله:

* ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وقوله:

إذا اشتبكت دموع في حدود
تبين من بكى ممن تباكى

وقوله:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنا
وتولوا بغصة كلهم من
له وإن سر بعضهم أحيانا

وقوله:

أما تغلَطُ الأيامُ فيَّ بأنْ أرى
بغِيضاً تُنَائِي أو حَبِيباً تَقْرُبُ

وقوله:

أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

وقوله:

✽ ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله:

جزى الله المسير إليك خيراً
وإن ترك المطايا كـالمزاد

وقوله:

يهون علينا أن تُصاب جُؤمنا
وتسلم أعراض لنا وعقول

وقوله:

يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وقوله:

نحن أدري وقد سألنا بنجد
أطويل طريقنا أم يطول
وكثير من السؤال اشتياق
وكثير من رده تعليل

وقوله:

أروح وقد ختمت على فؤادي
بحبك أن يحل به سواكا

وقوله:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فأت ليالي أربعاً
واستقبلت بدر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في ليل معا

وقوله:

لك يا منازل في القلوب منازل
أقضرت أنت وهن منك أو اهل

وقوله:

ويحتقر الحساد عن ذكره لهم
كانهم في الخلق ما خلقوا بعد

وقوله:

ورفلت في حلل الثناء وإنما
عدم الثناء نهاية الإعدام

وقوله:

كأنهم يردون الموت من ظمأ
وينشقون من البارود ريحانا

وقوله:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقوله:

واطراق طرف العين ليس بنافع
إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله:

كأن كل سؤال في مسامعه
قميص يوسف في أجفان يعقوب

وقوله:

كفل الثناء له برداً حياته
لما أنطوى فكأنه منشور

وقوله:

كثير سهاد العين من غير علة
يؤرقه فيما يشرفه الفكر

وقوله:

وما كنت ممن يدخل الحب قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق

وقوله:

ألد من الصهباء بالماء ذكره
وأحسن من يسر تلقاه معدم

وقوله:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى
وما الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

وقوله:

أتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم

وقوله:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله:

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

وقوله:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
ما قاته وفضول العيش أشغالُ

وقوله:

وقد أطلّ ثنائي طولُ لابسِه
إن الثناء على التنبالِ تنبالُ

وقوله:

إذا تغلغل فكر المرء في طَرْفِ
من مجده غرقت فيه خواطرُه

وقوله:

تمنّ يلد المستهام بذكره
وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا
ولكنه غيظ الأسير على القيد

وقوله:

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه
إذا اتسعت في الحلم طُرُقُ المظالم
وأن ترد الماء الذي شطره دمٌ
فتُسقى إذا لم يُسَقَ من لم يُزاحم

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روى رحمه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وقوله:

إن كان قد ملك القلوب فإنه
ملك الزمان بأرضه وسمائه
الشمس من حساده والنصر من
قرنائه والسيف من أسمائه
أين الثلاثة من ثلاث خلاله
من حسنه وإبائه ومضائه
مضت الدهور وما أتى بمثله
ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

وقوله:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل ؟

وقوله:

قد كنت أشفق من دمعي على بصري
فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

وقوله:

وما شَرَّقِي بالماء إلا تذكُّراً
لماء به أهل الحبيب نزولُ

وقوله:

المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ
وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

وقوله:

وما أخصك في برءٍ بتهنئة
إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقوله:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً
على الدر واحدته إذا كان مزيداً
فإني رأيتُ البحر يعثر بالفتى
وهذا الذي يأتي الفتى متعمداً
تظل ملوك الأرض خاشعة له
تفارقه هلكى وتلقاه سجداً

وقوله:

ذي المعالي فليعلون من تعالي
هكذا هكذا والا فلا لا

شرف ينطح النجوم بروقيـ
له وعزُّ يقلقل الأجبالا

وقوله:

تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقوله:

وما صباية مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وقوله:

خلقت ألؤفا لو رجعت إلى الصبا
لفارقت شبيبي موجع القلب باكياً

وقوله:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى
فؤادي في غشاء من بنال
فصرت إذا أصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال

وقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلا

وقوله:

أفاضلُ الناسِ أعراضُ لذا الزمنِ
يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفِطنِ

وقوله:

والهمُّ يختَرُمُ الجسيمَ نحافةً
ويشيبُ ناصيةَ الصَّبِي ويُهَرِّمُ

وقوله:

والظلمُ من شيمِ النفوسِ فإن تجدُ
ذا عِصَّةٍ فَلَعَلَّةٍ لا يظلمُ

وقوله:

ومن البليةِ عَذْلُ من لا يرعوي
عن جهله وخطاب من لا يفهمُ

وقوله:

وكلُّ شجاعةٍ في المرءِ تغنيُ
ولا مثلُ الشجاعةِ في الحكيمِ

وقوله:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
وأفتُّه من الضَّهْمِ السَّقيمِ

وقوله:

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
فَمَنْ الْعِجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا

وقوله:

* مِنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُهُ

وقوله:

لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
وَرِيْمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

وقوله:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ
إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وقوله:

* وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ
ظَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالنِّزَالَ

وقوله:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ
هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

وقوله:

وَلَرِيْمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ
بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ

وقوله:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان

وقوله:

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً

وقوله:

وللنفس أخلاق تدل على الفتى
أكان سخاء ما أتى أم تساخياً

وقوله:

فما الحداثة من حلم بمانعةٍ
قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وقوله:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونهُ
وصدق ما يعتاده من توهم

وقوله:

إنما تنجح المقالة في المرء
إذا صادفت هوى في الضوَادِ

وقوله:

وكل امرئ يولي الجميل محبباً
وكل مكان ينبت العز طيباً

وقوله:

غير أن الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا

وقوله:

ولم أرفي عيوب الناس شيئاً
كنقص القادرين على التمام

وقوله:

ولسر مني موضع لا يناله
نديم ولا يفضي إليه شراب

وقوله:

ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه ما لا يرى

وقوله:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

وقوله:

ذريني أنل ما لا ينال من العلى
فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل

وقوله:

تمرستُ بالآفات حتى تركتها
تقول: أمات الموت أم دعر الذعر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك في الدنيا دويماً كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

وقوله:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقوله:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى فيها وما يتوقع
إلى غير ذلك من الأشعار والأبيات الجميلة التي لا يمل
المرء من سماعها أو تردادها.

وهذا الشاعر هو الأول عندي وعند كثير ممن سبقنا من
العلماء والأدباء، بل له السيادة في الشعر، وقد ألفت عنه كتاباً
سميته: إمبراطور الشعراء، وقد طبق الخافقين ذكره وأخمل
الشعراء شعره وصارت أبياته أشهر من الأمثال وأقتل من الآجال
وأجمل من الآمال.

فهو في الأدب إمام، وفي الشعر كعبة ومقام، فعند ذكره لا
امرؤ القيس ولا بحتري ولا أبو تمام، فهو شاعر الأيام، وقد شهدت
بذلك الأقلام.



مقتله

المتنبي واحد من الذين قتلتهم قصائدهم، ولعل من الملفت للنظر أنه لم يلق حتفه على يد كافور أو حاشيته ممن كانت تدين له أرض مصر، رغم ما سلطه المتنبي عليه من أهاج مدوئية ترددت على الألسنة، إنما كان حتف هذا الشاعر البائس على يد رجلٍ من عامة الناس ثار لقريب له سلقه المتنبي بلسانه، فانظر إلى المفارقة.

والقصيدة القاتلة هجا بها المتنبي رجلاً يُدعى (ضبة بن يزيد العيني)، فأفحش في القول وأقذع.

يقول المتنبي:

ما أنصف القومُ ضبّةً
وأُمّه الطُرْطُبةُ^(١)
فلا بمن مات فخرٌ
ولا بمن عاش رغبةُ
وإنما قلتُ ما قلـ
لتُرحمةً لا محبةُ
وحيلةً لك حتى
عُذرتَ لو كنتَ تيبه^(٢)

(١) الطُرْطُبة: القصيرة الضخمة، المسترخية الثديين!

(٢) تيبه: أي تظن. أي: قلت ذلك حيلة ليعذرك الناس.

وَمَنْ يَبْـالِي بِذَمِّ
إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ

أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي النَّخِ
لِ سُرِيَّةٍ بَعْدَ سُرِيَّةٍ

فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبَّ
بِأَيْنَ خَلْفٍ عُجِبَهُ^(١)

وَأَنْ يَخُنَّكَ لَعْمُرِي
لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهُ^(٢)

وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ
وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبَهُ^(٣)

مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَاباً
نَفَثَكَ عَنَّا مَذْبَهُ^(٤)

وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهَا
فَصَرْتَ تَضُرُّ رَهْبَهُ

(١) ضب: ترخيم ضبة، خلفه: تركه خلفه، العجب: التيه والكبر.

(٢) عمري: قسم، وهو مبتدأ محذوف الخبر قام مقامه جوابه، الصحب: جماعة الأصحاب، أي إذا خانك قلبك وخذلك في شجاعة الإقدام علينا فهو متعود أن يخون أصحابه.

(٣) ضمير فيه لفؤادك، أي هو لا نفع فيه ولا خير لك في اصطحابه.

(٤) المذبة: ما يطرد بها الذباب.

وَأَنْ بَعُدْنَا قَلِيلًا
 حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرِيَّةً^(١)
 وَقُلْتَ: لَيْتَ بَكَفِّي
 عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ^(٢)
 إِنْ أَوْحَشْتُكَ الْمُعَالِي
 فَإِنَّهَا دَارُ غُرِيَّةٍ
 أَوْ أَنْسَتَكَ الْمُخَازِي
 فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَةٍ^(٣)
 وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي
 تَكْشُفْتُ عَنْكَ كُرِيَّةً^(٤)
 وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي
 فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٥)

هذا ما قاله المتنبى في (ضبة) المذكور، وهو كما نقل ابن
 العديم: «ما للمتنبى شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً،
 فكان على سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وذهاب ماله».

(١) أي يعود إليك عجبك حال ابتعادنا عنك فتحمل سلاحك وتطلب المبارزة متحدياً.
 (٢) العنان: سير اللجام، الجرداء: القصيرة الشعر، الشطبة: الطويلة.
 (٣) المخازي: الأفعال القبيحة.
 (٤) أي إذا عرفت مرادي زال عنك الكرب الناتج عن جهلك لما أقول.
 (٥) أي إذا جهلت مرادي فالجهل أليق بحالك؛ لأنك لست من أصحاب الفهم.

لَمَّا سَمِعَ فَاتَكَ الْأَسَدِي (خَالِ ضِبَّة) بِهَذَا الشَّعْرِ دَاخِلَتْهُ
الْحَمِيَّةُ لِابْنِ أُخْتِهِ (ضِبَّة)، فَفَرَّرَ الثَّارُ لَهُ بِقَتْلِ الْمُتَنَبِّي، وَلِنَدَعِ الرَّيْعِي
يُرَوِّي لَنَا قِصَّةَ مَقْتَلِ الْمُتَنَبِّي عَمَّنْ عَاصِرِ أَحْدَاثِهَا: وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ
الْمُبَارَكِ الْجُبَلِيِّ^(١).

قَالَ الْجُبَلِيُّ:

«وَأَمَّا مَا سَأَلْتُمَا عَنْهُ مِنْ خَبَرِ مَقْتَلِ أَبِي الطَّيِّبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -،
فَأَنَا أَنْسُقُهُ لَكُمَا وَأُشْرَحُهُ شَرْحاً بَيِّنًا.

اعْلَمُوا أَنَّ مَسِيرَهُ كَانَ مِنْ وَاسِطٍ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ
لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ، قُتِلَ
بَبَيْزَعٍ^(٢) ضَيْعَةً تَقَرُّبُ مِنْ دِيرِ الْعَاقُولِ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِلَّيْلَتَيْنِ
بَقِيَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. وَالَّذِي تَوَلَّى
قَتْلَهُ وَقَتَلَ ابْنَهُ وَغُلَامَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ «فَاتِكُ بْنُ أَبِي
الْجَهْلِ بْنِ فِرَاسِ بْنِ بَدَادٍ». وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَمَّا قَتَلَهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ:
«قُبْحًا لِهَذِهِ اللَّحْيَةِ يَا سَبَّابُ!»، وَذَلِكَ أَنَّ فَاتِكًا هَذَا قَرَابَةُ لَوَالِدَةِ
«ضِبَّةَ بْنِ يَزِيدِ الْعَيْنِيِّ» الَّذِي هَجَاهُ الْمُتَنَبِّي بِقَوْلِهِ:

(١) انظر ترجمة المتنبّي للرّيعي منشورة في خاتمة كتاب (المتنبّي) للأستاذ محمود
شاكّر - رحمه الله - (٥٨٥ - ٦٠٤).

(٢) في المخطوطة «ببيزع» بالنون، وهو كذلك في ديوان المتنبّي (عزام) هامش
ص: ٥٨٧، ٥٨٨، غير أن ياقوتاً الحموي اقتصر على ذكرها في حرف الباء، نقلاً
عن خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي صاحب هذا الخبر.

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأَمَّهُ الطَّرْطُبَةَ

ويقال: إن «فاتكاً» خال «ضبة»، وإن الحميَّة دخلته لما سمع ذكرها بالقبيح في الشعر، وما للمتنبى شعرٌ أسخفَ من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً، فكان على سخافته وركاكته سببَ قتله وقتل ابنه وذهاب ماله.

وأما شرح الخبر: فإن «فاتكاً» كان صديقاً لي، وكان كما سُمِّي فاتكاً لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال، فلما سمع الشعر الذي هُجِيَ به «ضبة» أحفظه ذلك واشتدَّ عليه، ورجَعَ على «ضبة» باللوم، وقال له: قد كان يجبُ أن لا تجعلَ لشاعرٍ عليك سبيلاً! وأضمر غيرَ ما أظهر، واتَّصل به خَبَرُ انصرافِ المتنبى من بلد فارس إلى العراق، وأنَّ اجتيازه بجبلٍ ودير العاقول، فلم يكن ينزل عن فرسه.

وجماعة من بني عمِّه رأيهم في المتنبى مثل رأيهِ في طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد، وكان فاتك يتحرَّى خوفاً أن يفوته.

وكان كثيراً ما يجيئني وينزل عندي، فقلت له يوماً - وقد جاءني وهو يسأل قوماً مُجتازين عنه -: قد أكثرَت المسألة عن هذا الرجل، فأَيُّ شيء عزمك أن تفعله متى لقيته؟

قال: ما عزمي إلا للجميل، وأن أعدُّه على ما أفحش فيه من الهجاء.

فقلت له: هذا الأليقُ بأخلاقك والأشبهُ بأفعالك.

فتضحك ثم قال: والله يا أبا نصر، لئن اكتحلت عيني به أو جمعتي وإياه بقعةً لأسفكن دمه ولأمحقن حياته، إلا أن يُحال بيني وبينه.

فقلت له: كُفَّ - عافاك الله - عن هذا القول، وارجع إلى الله، وأزل هذا الرأي من قلبك، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصوت، وقتلك إياه في شعرٍ قاله لا يحسن، وقد هجت الشعراءُ الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، فما علمنا أن شاعراً قُتل بهجاءٍ (وقد قال الشاعر):

هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ

وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تَهْجِي وَتُمْدَحُ

ولم يبلغ جرَّمه ما يوجب قتله!

فقال: يفعلُ الله ما يشاء! وانصرف.

فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة (أيام حتى وافى) المتتبي ومعه بِغَالٌ مَوْفَرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالثِّيَابِ وَالطَّيِّبِ وَالْجَوْهَرِ وَالْآلَةِ؛ لأنه إذا (كان مسافراً لم يُخَلَّف) في منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوي درهماً واحداً فما فوقه، وكان أكثر

إشفاقه على دفاتره، (لأنه كان قد انتخبها) وأحكمها قراءةً وتصحيحاً.

قال: فتلقَّيْتُهُ وأنزلتُهُ داري وساءلته عن أخباره؟ وعمَّن لقي؟ وكيف وجد مَنْ قَصَدَهُ؟ (فعرَّفني) من ذلك ما سررت به، وأقبل يصف لي ابن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه، وسماحة الملك أبي شجاع فناخسرو، ورغبته في الأدب وميله إلى أهله.

فلما أمسينا قلت له: على أي شيء أنت مُجمِع؟

قال: على أن أتَّخذ الليل جملًا، فإن السير يخفُّ فيه عليَّ.

قلت: هذا هو الصواب - رجاء أن يخفَّيه الليل، ولا يصبح إلا وقد قطع بلدًا بعيداً - والوجه أن يكون معك من رجالة هذه المدينة الذين يخبرون الطريق ويعرفون المواضع المخوفة فيه، جماعةً يمشون بين يديك إلى بغداد.

فقطَّب وقال: ولم قلتَ هذا القول؟

قلت: تستأنس بهم.

قال: أمَّا والجُرازُ في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنسٍ غيره.

قلت: الأمر كما تقول، والرأي فيما أشرتُ به عليك.

فقال: تلويحك هذا يُنبئ عن تعريض، وتعريضك يُخبر عن

تصريح، فعرَّفني الأمر وبين لي الخطب.

قلت: إن هذا الجاهل «فاتكاً الأسدي» كان عندي منذ ثلاثة أيام، وهو مُحَفَظٌ عليك لأنك هجوت ابن أختِه، وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراس والתיقُّط، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بني عمِّه قَوْلُهُمْ مِثْلُ قَوْلِهِ - قال: وغلامه كان عاقلاً لبيباً فارساً يسمع كلامنا - فقال: الصوابُ ما رآه أبو نصر، خُذْ معك عشرين رجلاً يسرون بين يديك إلى بغداد.

فاغتاز غيظاً شديداً وشتَمَ الغلامَ شتماً قبيحاً، وقال: والله لا تُحَدِّثْ عني أني سِرْتُ في خُفارةٍ غير سيفي.

فقلت له: يا هذا، فأنا أَوْجَّهُ قوماً من قبلي في حاجة يسرون بمسيرك ويكونون في خُفارتك.

قال: والله لا فعلتَ شيئاً من هذا. وقال لي: يا أبا نصر، أبخروء الطير تُخَشِّينِي، ومن عبید العصا تخاف عليّ..! والله لو أن مِخْصَرْتِي ملقاةً على شاطئ الفرات وبنو أسد مُعْطَشُونَ لخمس، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات، ما جسرَ لهم خُفٌّ ولا ظِلْفٌ أن يَرِدَهُ..! حاشَ لله من فكر أشغله بهم لحظة العين.

فقلت له: قل إن شاء الله.

فقال: كلمة مَقُولَةٌ لا تَدْفَعُ مقضياً ولا تستجلب آتياً! ثم ركب فكان آخر العهد به.

قال: «ولما صح عندي خبر قتله وجهت من دفته وابنه وغلامه، وذهبت دماؤهم هدرًا» أه.

ويقال^(١): بأن المتنبى لما خرج عليه فاتك ورجاله أراد أن ينهزم، فقال له ابنه: يا أبه:

وأين قولك:

الخيـل والليل والبيداء تعرفني

والطعن والضرب والقرطاس والقلم؟

فقال له: قتلنتي يا ابن اللخناء!

ثم قاتل حتى قُتل.

فقيل: بأن هذا البيت هو الذي قتله.

وبعد: فقد قتل المتنبى لكن لم يقتل إبداعه وحكمته، وذبح أبو الطيب ولم تذبح عبقريته، لقد بقي معنا حياً بشعره ونبوغه وأمثاله وشوارده، ولكن العبرة من قتله أن على العاقل أن يحاسب لفظه ويراقب ربه، فبئس بشعر يقطع رأس صاحبه ويسيل دم قائله، أين بُعد النظر وتقليب عين البصيرة قبل الهذيان والثرثرة وإطلاق القول على عواهنه، وهذا المتنبى خسر نفسه من أجل أبيات زهيدة، فكيف بعذاب الله لمن أساء الأدب معه، وسب رسله وتعرض لأوليائه، إن أخسر الناس صفقة من باع دينه بدنياه، فأرسل لسانه بالإفك الأثيم، وهؤلاء ملوك الدنيا الفانية يغضبون

(١) انظر ترجمة المتنبى للرعي منشورة في خاتمة كتاب (المتنبى) للأستاذ محمود شاكر - رحمه الله - (٦٥١).

للكهم، ولله المثل الأعلى وهو ملك الملوك وهو الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، فويل لمن عصى ربه وحارب مولاه، وقدح في شرحه وسب رسله وشهد شهادة الزور ﴿سَكَّتَبْ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾. وقبل أن أودعك أيها القارئ أذكر لك قطعة أدبية عن المتنبي من كتابي إمبراطور الشعراء.

قلت: «ما رأيت عالماً فذاً جاء بعد المتنبي إلا استشهد بشعره في معرض حديثه، من موعظة وتفسير، أو سلوك، أو تربية، أو تاريخ، وقد مسحت كتباً كثيرة شهيرة فإذا للمتنبى عشرات الأبيات منثورة في غضون هذه المجلدات، مثل إحياء علوم الدين للغزالي فله عنده قرابة عشرين بيتاً، وابن الجوزي مغرم في كتبه بالمتنبى، وابن حزم مولع بشواهدهم، وابن تيمية يهش لنوادره، ويورد بدائعهم، وابن القيم ينتقي مقطوعات ثمينة في كتبه، وعلماء التراجم يوشحون السير بشعره، والمؤرخون تسعفهم أبياته عند العرض والاستنتاج، والوعاظ يهزون الناس بقوافيه، والملوك يديرون أدبه في مجالسهم، والأدباء يضمنون نتاجهم فيض المتنبي، والكتاب يزينون مقالاتهم بتحفه الغالية. وبالجمله فلا أعلم شاعراً عربياً قديماً أو حديثاً شرق وغرب شعره، وخلص نتاجه كهذا الشاعر، شهادة يؤديها الأدباء، ويقوم بها الشعراء، ويصدقها أرباب البيان، وكأن المتنبي يعني هذا لما قال في شعره:

إذا قلته لم يمتنع من وصوله
 جدار معلى أو خباء مطنّب

وقصدي من هذا الفصل إخبارك أن الشاعر الفذ هو من بقي
 حضوره، ودام ذيوعه، وفرض احترامه على محبيه، ووجوده على
 حاسديه، وكذلك كان المتنبّي، فهو أشهر شاعر سمع به الناس،
 واحتفلت بشعره المناير، وهضمت جملة الدفاتر، وتشنفت بقوافيه
 الآذان، ولعلت بقصائده المجالس ليصح في شعره قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
 وأسمعت كلماتي من به صمم^(١)

س



تم التجميع من
 مكتبي

(١) إمبراطور الشعراء، ص ٦٣ .

مقتل طرفة بن العبد



اسمه ولقبه^(١)

هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة.. بن بكر بن وائل.

وفي «الشعر والشعراء» نتوقف عند جده مالك، لنجد أن مالكاً هذا، هو ابن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة.

أما طَرْفَة فهو لقبه، والطرفة واحدة الطرف والطرفاء، وهو نوع من الشجر يشبه الأثل، وتحمض الإبل به إذا لم تجد حمضاً غيره. وثمة من يذهب إلى أنه لقب بطرفة ببنت قاله، وهو:

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا

ولا أميريكما بالدار إذ وقفا^(٢)

وطرفة واحد من عدة شعراء عرفوا بهذا الاسم، منهم: طرفة ابن ألاء بن نضلة بن المنذر، وطرفة الجذمي، من بني عبس، أو الخُزَيْمي، من بني خزيمة بن رداحة، وطرفة العامري^(٣).

(١) نقلاً عن (طرفة بن العبد، حياته وشعره) للدكتور يحيى شامي، بتصرف يسير، وانظر ترجمته موسعة في: طرفة بن العبد - دراسة وتحليل - للدكتور علي الجندي، ومغلقات العرب للدكتور بدوي طبانة، وشعراء النصرانية للويس شيخو، وطرفة بن العبد - حياته وشعره - للدكتور محمد علي الهاشمي، وطبقات فحول الشعراء، ص ١٢٧ شرح محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة، والأغاني ٢١ / ١٨٥، والموشح، ص ٥٧، ومعجم الشعراء، ص ٢٠١، وخزانة الأدب ١ / ٤١٤ وغيرها.

(٢) البستاني، فؤاد أفرام: الروائع، ص ١٩٨، عدد ٢٤، ط ٤، المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٦١ م.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٨.

ولادته، رعايته، لهوه

ولد طرفة في البحرين، لكن تاريخ ولادته كان - ولا زال - موضع خلاف، فذهب بعضهم إلى القول إن ولادته كانت حوالي سنة ٥٤٣م، وذلك استناداً إلى ما شاع عن تسميته بـ «الغلام القتل»، وإلى أنه قتل على عهد الملك الحيري عمرو بن هند، الذي حكم بين عامي ٥٦٢ أو ٥٦٤ و ٥٧٦ أو ٥٧٨م. وإذا ما أخذنا بالرأي القائل إن عمرو بن هند حكم بين عامي ٥٥٤ و ٥٧٠م، فإن ولادة طرفة تكون مبكرة عن العام ٥٤٣م.

ومهما يكن من أمر، فإن طرفة كان صغيراً بين إخوة صغار لما توفي أبوه العبد، فكفلته أمه وردة، ورعاه أخوه معبد الذي ربما كان أكبر من طرفة، لكن أعمامه ضيقوا عليه، وعضلوه عن التصرف بحصته من إرث أبيه، فقال في ذلك من شعر يصور نقمته وغبه:

ما تنظرونَ بمالٍ وردةَ فيكمُ
صَغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غُيِبُ
قد يبعثُ الأمرُ العظيمَ صغيرهُ
حتى تظلُّ له الدماءُ تُصَبُّ
والظلمُ فرقَ بينَ حيٍّ وألٍ
بكرُ تساقِيها المنيَّةُ تغلبُ

والصدقُ يألفه الكريم المرتجى والكذبُ يألفه الدنيُّ الأخيبُ^(١)

ولا يعني هذا القول أن طرفة حرم كل ما يملك، إذ نجد أنه،
وبدافع من شرف محتده، وبما تحصل له من مال مطرف، راح يلهو
وينفق بلا حساب، وتبع ذلك لذة وشراب، حتى نفذ ماله ولم يبق
منه سوى النزر القليل، وهذا ما اضطرَّ عشيرة الشاعر والأقربين
منه إلى تحاميه وإبعاده، فأفرد، على حد تعبيره، أفراد البعير
الأجرب:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المبعد^(٢)

على أثر ذلك راح طرفة يطوّف بطول البلاد وعرضها حتى
وصل - على ما ذكر - إلى بلاد الحبشة^(٣)، بعيداً عن قومه. وأخيراً
اضطر إلى العودة إليهم بعد أن أنفق جميع ماله، فرعى إبلاً لأخيه
معبد لقاء أجر معلوم^(٤)، لكنه أهمل رعايتها، وانصرف إلى نظم
الشعر، فأنبه أخوه على ذلك وانتهره بالقول: «تري إنها إن أخذت
تردها بشعرك هذا؟» فأجاب قائلاً: «لا أخرج فيها حتى تعلم أن
شعري يردّها»^(٥).

(١) الشعر والشعراء، ص ١١٩.

(٢) ديوان طرفة، ص ٢٥، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٣) الروائع، ص ٢٠١.

(٤) شيخو، لويس: شعراء النصرانية، ص ٢٩٩، بيروت ١٨٩٠م.

(٥) الروائع، ص ٢٠٢.

وصدقت فراسة الشاعر، مثلما صحت توقعات أخيه معبد، فقد أخذت الإبل من طرفة، وهو لاه يتغزل، فلجأ إلى ابن عمه مالك، واستعان به على ردّ الإبل التي احتوشها قوم من مضر، فأبى هذا مساعدته؛ لكنّ طرفة وجّه وجهه لسَيِّدين كريمين من أقربائه هما قيس بن خالد، وعمرو بن مرثد، فمدحهما أجمل مدح، فما كان من عمرو بن مرثد إلا أن دعا إليه أولاده، وكانوا سبعة، فأمرهم بمساعدة الشاعر، فأدى كل واحد منهم عشرين من الإبل، ومثلهم فعل ثلاثة من أحفاده، فدفعوا مثل ذلك إلى طرفة الذي استطاع أن يردّ إبل أخيه^(١).

اتصاله بعمر بن هند^(٢):

وكانّ طرفة وثق بأن شعره قادر على أن يؤمن له مورداً من المال يسدّ به حاجته، فاتصل بعمر بن هند ملك الحيرة، وكان عنده المتلمس، خال الشاعر، وهو شاعر مشهور، وعبد عمرو ابن بشر بن مرثد، صهره على أخته، فاستقبله الملك استقبالاً يليق

(١) البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ١١٦/١. دار مارون عبود، بيروت ١٩٧٩م.

(٢) هو عمرو بن هند، والده هو المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة بعد وفاة والده (نحو سنة ٥٥٤م)، وليث على عرشها حتى (نحو سنة ٥٦٩م)، وكان أبوه قد تزوج هنداً بنت أكل المرار، فولدت له عمراً وقابوس والمنذر ومالكاً.

زعم الرواة أن عمرو بن هند كان له يومان: يوم يؤس ويوم نعيم، فكان يقتل أول من لقي في اليوم الأول، ويكرم أول من يلقي في اليوم الثاني. فاشتهرت عنه لأجل هذا حكايات كثيرة دونها الرواة في كتب الأدب.

بكبار الرجال، ثم اتخذته جليساً له ونديماً، وراح يسمع شعره الذي أعجب به أيما إعجاب، حتى جاء يوم كان فيه الشاعر بين يدي الملك، والقوم عاكفون على الشراب، إذ برزت أخت الملك بجمالها الساحر، فنظر طرفة إليها نظرة إعجاب مما أثار رغبة الملك وحفيظته فنظر إلى الشاعر نظرة شزر، لكنه كتم ذلك في نفسه، ولم ينبس ببنت شفة، إلا أن المتلمس أدرك نية عمرو بن هند فقال لابن أخته: «يا طرفة، إنني أخاف عليك من نظرته تلك».

وما توقعه المتلمس كان صحيحاً، إذ سرعان ما أمر عمرو بإبعاد الاثنين معاً من حاشيته ليلحقهما بحاشية ولي عهده وأخيه قابوس بن هند، وكان هذا لاهياً محباً للصيد، فأمرهما باصطحابه إلى الصيد، فما رجعا إلا وقد أخذ التعب منهما كل مأخذ.

وكان حقيقاً على الشاعرين أن لا ييرحا قابوس حتى في الأيام التي كان يخلو فيها بنفسه، فلا يدني منه إلا من كان مقرباً الأمر الذي أغضب طرفة والمتلمس فاندفعا في هجائه، وفي هجاء عمرو نفسه بن هند - كما سيأتي إن شاء الله -.



قصة مقتله

كان طرفة قد هجا (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) زوج أخته!

عندما جاءت أخته يوماً تشكو منه، فقال فيه طرفة:

يا عجباً من عبد عمرو وبغيه

لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما

ولا عيب فيه غير أن له غنى

وأن له كشحاً إذا قام أهضما

وإن نساء الحي يعكفن حوله

يقلن عسيب من سرارة ملهما^(١)

له شربتَان بالنهار، وأربعُ

من الليل حتى أض سَخْداً مورماً^(٢)

ويشربُ حتى يَغْمُرُ المحضُ قلبه

وإن أعطه أتركُ لقلبي مجثماً^(٣)

(١) الديوان، ص ٧٠، والكشح: الخصر. والأهضم: الهزيل. ويعكفن: يملن. والعسيب: جريد النخل. والسرارة: وسط الشيء. وملهم: موضع تكثر فيه النخل.

(٢) أض: صار. سَخْداً: ريان، أي أنه يشرب من اللبن مرتين في النهار وأربعاً في الليل حتى انتفخ وتورم.

(٣) المحض: اللبن الخالص، ومجثم: موضع راحة، يريد: وإن أسق اللبن لا أكثر منه وإنما أترك لقلبي موضع راحة.

كَأَنَّ السِّلَاحَ فَوْقَ شَعْبَةٍ بَانَةٍ

تَرَى نَفْخًا وَرَدَّ الْأُسْرَةَ أُسْحَمًا^(١)

ومن عجيب الصدف أن عمرو بن هند - وهذه رواية ابن قتيبة^(٢) -
كان يتصيد ذات يوم، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً، فطلب إلى
عبد عمرو أن ينزل إليه، فأعياه ذلك، فضحك عمرو وقال:
لقد أبصرك طرفة حين قال:

وَلَا عَيْبَ فِيهِ... إِلَخْ!!

فما كان من عبد عمرو إلا أن أخذته الحمية وقال للملك
عمرو بن هند: الذي قال فيك أشد ممّا قال فيّ!

فتلون وجه عمرو بن هند وقال لعبد عمرو: وما قال فيّ؟!

فأخبره عبد عمرو بقصيدة طرفة التي هجاه فيها وهي قوله^(٣):

(١) شعبة: غصن. بانة: شجرة لينة، شبه عبد عمرو في تشبهه ونعمته بهذه الشجرة!
والأسرة: الطرائق في الجسد، أي أنه أحمر اللون من أثر ما يطيب به من الزعفران.

(٢) الشعر والشعراء، ص ١١٨.

(٣) ديوانه (ص ٤٨ - ٤٩)، وقد روى ابن السكيت في شرحه لديوان طرفة (ص ١٥)

أبياتاً أخرى له في هجاء عمرو بن هند، هي من أشد الهجاء وأمره وأوجعه، هي:

أَبَا الْجُرَيِّ مَتَى تَرْجُو تَدِينُ لَكُمْ	يَا بْنَ الشَّدِيخِ ضِبَاعُ بَيْنَ أَجْبَاخِ
أَنْتَ ابْنُ هَنْدٍ فَأَخْبِرْ مَنْ أَبُوكَ إِذَا	لَا يَصْلُحُ الْمَلِكُ إِلَّا كُلُّ بَذَاخِ
إِنْ قُلْتَ نَصْرٌ، فَنَصْرٌ كَانَ شَرَفَتِي	قَدْ مَأْ وَأَبْيَضَهُمْ سِرْبَالُ طِبَاخِ
مَا فِي الْمَعَالِي لَكُمْ ظِلٌّ وَلَا وَرَقٌ	وَفِي الْمَخَازِي لَكُمْ أَسْنَاخُ أَسْنَاخِ
إِنْ قَسَمَ الْمَجْدُ أَكْدَى فِي سَرَاتِكُمْ	أَوْ قَسَمَ اللَّؤْمُ فَضَلْتُمْ بِأَشْيَاخِ

الجرى: مصغر جرو وهو ابن الكلب. والشديخ: المشدوخ وهو المكسور، وأراد
مكسور الرأس، كناية عن الذل، والأجباخ: أمكنة فيها نخيل. وبذاخ: عال شريف.
ونصر: هو نصر بن ربيعة أحد أجداد عمرو بن هند. وأسناخ: جمع سنخ وهو
الأصل. وأكدى: انقطع. والسراة، السادة.

فليت لنا، مكان الملك عمرو
 رغوثة، حول قبتنا تخور^(١)
 من الزمرات، أسبل قدامها
 وضرتها مركنة درور^(٢)
 يشاركنا لنا رخلان فيها
 وتعلوها الكباش، فما تنور^(٣)
 لعمرك! إن قابوس بن هند
 ليخلط ملكه نوك كثير^(٤)
 قسمت الدهر في زمن رخي
 كذاك الحكم يقصد أو يجور^(٥)
 لنا يوم، ولكروان يوم
 تطير البائسات ولا نطير^(٦)

(١) الرغوثة: النعجة الموضع. تخور: تصوت.

(٢) الزمرات: القليبات الصوف. وتكون أغزر ألباناً. أسبل: طال. قدامها: خلفها
 اللذان من قدام. والخلف للناقة استعاره للشاة، كما استعار لها الخوار في البيت
 السابق، وهو للبقر. ضرتها: لحم ضرعها. المركنة: التي لها أركان أي جوانب
 وأصل، أو المجتمعة. الدرور: التي تدر بلبنها.

(٣) الرخلان، واحدهما رخل: الأنثى من أولاد الضأن. تعلوها: تلقحها. الكباش،
 الواحد كبش الحمل إذا دخل في السنة الثانية، وقيل: الرابعة. تنور: تنفر.

(٤) نوك: حماقة.

(٥) الرخي: السهل اللين. كذاك الحكم: أي كذاك ذو الحكم. يقصد: يتوسط بين
 العدل والجور، ويجوز: يميل عن الحق.

(٦) الكروان: بسكون الراء جمع كروان بفتحها: وهو طائر أغبر اللون طويل المنقار،
 يقول: إن قابوس قسم أيامه بين طرفة وخاله المتلمس، وصيد الكروان، ولكن هذه
 الطيور البائسة تطير وتخلص، أما هما فلا يستطيعان الطيران والخلص.

فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ، فَيَوْمٌ نَحْسِرُ
تُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصَّقُورُ^(١)
وَأَمَّا يَوْمُنَا، فَنَظِلُّ رُكْبًا
وُقُوفًا، مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ^(٢)

فلما سمع عمرو بن هند القصيدة ازداد حنقه وأضمر الشر
لطرفة ولخاله المتلمس، وما لبث يتحين الفرص ليتخلص من
الاثنتين معاً، وكان يؤانسهما حتى اطمأننا إليه، فدعاهما وقال لهما:
لعلكما اشتقتما إلى أهلكما، وسركما أن تتصرفا؟
قالا: نعم.

فكتب كتابين إلى عامله في البحرين، وقال لهما: انطلقا إليه
وخذا منه جوائزكما.

فحمل كلّ منهما كتابه، وسارا حتى بلغا النجف، فقال المتلمس
لطرفة: تعلمنّ والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب،
وإني لا أنطلق بصحيفة لا أدري ما فيها.

فقال طرفة: إنك لسيئ الظنّ؛ وما تخاف من صحيفة؟ إن
كان فيها الذي وعدنا، وإلا رجعنا فلم نترك له شيئاً.

(١) الحدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض. الصقور، الواحد صقر: كل طائر يصيد.
(٢) الركب: ركبان الإبل أو الخيل. ما نحل وما نسير، يريد: نحن قيام في بابه، فلا
هو يأذن لنا فننزل عنده، ولا يأمرنا بالرجوع إلى أهلنا فنسير عنه.

فأبى المتلمس أن يجيبه وعدل إلى حيث رأى غلاماً من
الحيرة، فدفع إليه الصحيفة ليقرأها، فلما نظر الغلام فيها قال:
ثكلت المتلمس أمّه! فأخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة،
فضرب المثل بصحيفة المتلمس.

ثم قال المتلمس لطرفة: تعلمن والله أن الذي في كتابك مثل
الذي في كتابي.

فقال طرفة: إن يكن قد اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ
عليّ، وأبى أن يطيعه، فتركه المتلمس وهرب إلى الشام قائلاً^(١):

من مبلغ الشعراء عن أخويهم
نبأ فتصدّقهم بذاك الأنفسُ

أودى الذي علق الصحيفة منهما
ونجا حذار حبائه المتلمسُ
ألقى صحيفة ونجت كوره
وجناء مجمرة المناسم عرّمسُ

عيرانة طبخ الهواجر لحمها
فكان نُقبتَها أديم أملسُ
أجد إذا ضمرت تعزز لحمها
وإذا تشدّ ينسغها لا تنبسُ

(١) الأغاني (٢٣ / ٥٤١).

وتكاد من جزع يطير فؤادها

إن صاح مكاء الضحا مُتنكس^(١)

أما طرفة فقد سار إلى البحرين، وكان صاحبها (أبو بكر بن الحارث) وهو من أقرباء طرفة، فلما قرأ الكتاب قال: أتعلم ما أمرت فيك؟

قال طرفة: نعم! أمرت أن تجيزني وتحسن إليّ.

فقال له: إن بيني وبينك لخوولة أنا لها راع فاهرب من ليلتك هذه، فإنني قد أمرت بقتلك، فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس.

فأبى طرفة، وقال: اشتدت عليك جائزتي، وأحببت أن أهرب وأجعل لعمر بن هند عليّ سبيلاً، كأنتي أذنبت ذنباً؛ والله لا أفعل أبداً.

فأمر بحبسه، ثم كتب إلى عمرو بن هند يقول: ابعث إلى عمك من تريد فإنني غير قاتل الرجل.

فأرسل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند، واستعمله على البحرين، فقدمها ولبث أياماً، فاجتمعت بكر بن

(١) الوجناء: الضخمة الغليظة الصلبة كأنها لصلابتها ضربت بمواجن القصار، واحدها ميجنة، وهي مدقته، ومجمرة المناسم: مجتمعة لطيفة في صلابه، والعرمس: الناقة الصلبة، شبهت بالعرمس وهي الصخرة الصلبة، وتعزز: تشدد، وتنبس: تنطق وتصيح، وطبخ الهواجر، لحمها: أي سافرت عليها حتى انجرد شعرها. ونُقِبَتْها: لونها، والمكاء: طائر يطير في الجو ثم يتكس.

وائل وهمت به، وكان طرفه يحضهم، فانتدب له رجلاً من الحوثر
يقال له: أبو ريشة، فقتله وقتل معه العامل السابق. وكان قبره
معروفاً بهجر في أرض بني قيس بن ثعلبة.

وثمة رواية أخرى لقتله تزعم أن عامل البحرين كان اسمه
المكعب، وإليه أرسل عمرو بن هند الكتابين؛ وأنه لما خرج طرفه
وخاله من عند عمرو بن هند سارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من
الحيرة، إذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها، وهو يتبرز ويقصع القمل.
فقال له المتلمس: بالله ما رأيت شيخاً أحقق وأضعف عقلاً
منك.

فقال له الشيخ: وما الذي أنكرت عليّ؟

فقال: تتبرز وتأكّل وتقصع القمل!

قال: إني أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً، وأقتل عدواً، ولكن أحقق
مني والأم حامل حتفه بيمينه، ولا يدري ما فيه.

فتتبّه المتلمس، وكأنّما كان نائماً، وإذا هو بغلام من الحيرة
فقال له المتلمس: يا غلام أتقرأ؟ قال: نعم. قال: اقرأ هذه! فإذا
فيها:

«باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى المكعب. إذا أتاك كتابي
هذا من المتلمس، فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً،» فألقى المتلمس
الصحيفة في النهر وقال لطرفة: معك والله مثلها.

فقال: كلا! ما كان ليكتب لي مثل ذلك.

ثم أتى المكعب، فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً^(١)

وقد كان مقتل طرفة وهو في السادسة والعشرين من عمره
بدليل قول أخته (الخورنق) ترثيه:

عددنا له ستاً وعشرين حجةً

فلما توفاهما استوى سيّداً ضخماً

فَجَعَلْنَا بِهِ لَمَّا انتظرنا إِيَابَهُ

على خير حين، لا وليداً ولا قحماً

ولهذا سمي طرفة (بالغلام القتيل)، والله أعلم.

ولا يحق لنا قبل أن نودع طرفة إلا أن نورد قصيدته الذائعة
الماتعة وهي معلّقة الفريدة التي سارت بها الركبان، وأنشدها
السمار، وغنى بها الرحالة، فاسمع إلى صوت العبقريّة ونشيد
الإبداع وكلمات النبوغ، يقول:

لخولة أطلالُ ببرقةٍ تُهمدُ

تلوّحُ كباقي الوُشمِ في ظاهر اليَدِ

وَقُوفاً بها صحبي عليّ مطيهم

يقولون: لا تهلكُ أَسَى وتجلدُ

(١) انظر: مقدمة ديوانه، لكرم البستاني (ص ٩ - ١٠).

كَانَ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ
 خَلَايَا سَفِينٍ بِالنُّوَاصِفِ مِنْ دَدِ
 عَدُوِّيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامَنِ
 يَجُورُ بِهَا الْمَلَأَحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي
 يَشْقُ حُبَابَ الْمَاءِ حَيَزُومُهَا بِهَا
 كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمُضَايِلُ بِالْيَدِ
 وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنُ
 مَظَاهِرِ سِمَاطِي لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ
 خَذُولُ تُرَاعِي رِبْرِيَا بِخَمِيلَةٍ
 تَنَاوُلُ أَطْرَافَ الْبَزِيرِ وَتَرْتَدِي
 وَتَبْسُمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنُورًا
 تَخْلَلُ حَرَّ الرَّمْلِ دَعَصٌ لَهُ نَدِ
 سَقَتُهُ إِيَاءَ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ
 أَسْفًا وَلَمْ تَكْدُمِ عَلَيْهِ بِإِثْمَدِ
 وَوَجْهُهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِذَاءَهَا
 عَلَيْهِ، نَقِيُّ اللَّوْنِ، لَمْ يَتَّخِذْ
 وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
 بِعُوجَاءِ مَرْقَالٍ تَرْوُحُ وَتَغْتَدِي
 أُمُونٍ كَالْوَاكِحِ الْإِرَانِ نَسَائَتُهَا
 عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجُدِ

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ، وَأَتَبَعْتَ
وِظِيْفاً وَظِيْفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبِّدٍ
تَرَبَّعْتَ الْقُفَيْنَ بِالشُّوْلِ تَرْتَعِي
حَدَائِقَ مَوْلِي الْأَسْرَةِ أَغْيَدٍ
تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ الْمُهِيبِ، وَتَتَّقِي
بِذِي خُصَلٍ رَوَعَاتٍ أَكْلَفَ مُلْبِدٍ
كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تُكْنَفَا
حِفَافِيهِ شُكَا فِي الْعَسِيْبِ بِمِسْرِدٍ
فَطَوْرًا بِهِ خَلْفَ الزُّمَيْلِ، وَتَارَةً
عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدِّدٍ
لَهَا فَخْذَانِ أَكْمَلَ النُّحْضُ فِيهِمَا
كَأَنَّهُمَا بَابَا مَنِيْفٍ مُمَرِّدٍ
وَطِيٌّ مَحَالٌ كَالْحُنِيِّ خُلُوفِهِ
وَأَجْرَنَةً لُزَّتْ بِدَائِي مَنُضِدٍ
كَأَنَّ كِنَاسِي ضَالَّةٌ يَكْنُفَانِهَا
وَأَطْرَقَسِي تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيِّدٍ
لَهَا مَرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا
تَمْرٌ بِسَلْمِي دَالِجٌ مَتَشَدِّدٍ
كَقَنْطَرَةِ الرُّومِي أَقْسَمَ رِيْهَا
لِتَكْتَنُفَنَ حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَدٍ

صهابية العثنون مؤجدة القرا
بعيدة وخد الرجل مواراة اليد
أمرت يداها فتل شزر، وأجنحت
لها عضداها في سقيف مسند
جنوح، دفاق، عندل، ثم أفرعت
لها كتفاها في معالي مصعد
كان علوب النسع في دأياتها
موارد من خلقاء في ظهر قرد
تلاقى، وأحيانا تبين كأنها
بنائق غر في قميص مقد
وأتلاع نهاض إذا صعدت به
كسكان بوصي بدجلة مصعد
وجمجمة مثل العلاة كأنما
وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
وخذ كقرطاس الشامي ومشفر
كسبت اليماني قدّه لم يحرر
وعينان كالمأويتين استكنتا
بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
طحوران عوار القذى، فتراهما
كمكحولتي مذعورة أم فرقد

وصادقتا سَمْعَ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى
 لهجسٍ خفيٍّ أو لصوتٍ مندِّ
 مؤلَّتان، تعرفُ العتقَ فيهما
 كسامعتي شاةٍ بحوملٍ مُفردٍ
 وأروعُ نَبَاضٍ أَحَدٌ مُلَمَّمٌ
 كمرادةٍ صخرٍ في صفيحٍ مصمدٍ
 وإن شئتَ سامٍ واسِطَ الكورِ رأسُها
 وعامتٌ بضبعيها نِجاءُ الخفِيدِ
 وإن شئتَ لم تُرَقْلُ، وإن شئتَ أرقلتُ
 مخافةً ملويٍّ من القَدِّ مُحْصَدِ
 وأعلمُ مخروءٍ من الأنفِ مارنُ
 عتيقٍ متى ترجمُ به الأرضُ تزدَدِ
 على مثْلِها أمضي إذا قال صاحبي:
 ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي
 وجاشتُ إليه النفسُ خوفاً وخالَهُ
 مُصاباً ولو أمسى على غيرِ مرصدٍ
 إذا القومُ قالوا من فتى خلتُ أنِّي
 عُنيتُ فلم أكسلُ، ولم أتبلدِ
 أحلتُ عليها بالقَطِيعِ فأجذمتُ
 وقد خبَّ آلُ الأمعزِ المُتوقِّدِ

فذالت كما ذالت وليدة مجلس
 تري ربها أذيال سحل مُمدد
 ولست بحلال التلّاع مخافة
 ولكن متى يسترفد القوم أرفد
 وإن تبغني في خلقة القوم تلقني
 وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد
 متى تأتني أصبحك كأساً رويةً
 وإن كنت عنها غانياً فاغنّ وازدد
 وإن يلتق الحيّ الجميعُ تلاقني
 إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
 ندماي بيض كالنجوم وقينة
 تروح إلينا بين برد ومُجسد
 رحيب قطاب الجيب منها، رفيقة
 بجس الندامى، بضّة المتجرّد
 إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا
 على رسلها مطروفة لم تشدد
 وما زال شرابي الخُمور ولذتي
 وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي
 إلى أن تحامتن العشيّة كلّها
 وأفردت أفراد البعير المُعبد

رأيتُ بني غبراء لا يُنكرونني
ولا أهلُ هذاك الطرفِ الممددِ

ألا أيُّ هذا اللائمي أحضر الوغى
وأن أشهد اللذاتِ هل أنت مُخلدي؟

فإن كنتَ لا تستطيعُ دفعَ مني
فدعني أبادرها بما ملكتَ يدي

فلولا ثلاثُ هنَّ من عيشةِ الفتى
وجدكُ لم أحفلُ متى قامَ عودي

فمنهن سبقُ العاذلاتِ بشرية
كُميتَ متى ما تعلَّ بالماءِ تزيدي

وكري إذا نادى المضافُ مُحنباً
كسيد الغضا نبهته المتوردِ

وتقصيرُ يوم الدجن والدجنُ معجب
ببهكنة تحت الطرفِ المعمدِ

كأن البرين والدُماليجُ علقتُ
على عُشرٍ أو خرُوع لم يخضدِ

فذرني أروهامتي في حياتها
مخافة شرب في الحياةِ مُصردِ

كريمٌ يروي نفسه في حياته
ستعلمُ إن متنا غداً أينما الصدي

أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مُفسد
تري جثوتين من تراب عليهما
صفائح صم من صفيح مُنضد
أرى الموت يعتام الكرام، ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخي وثنياء باليد
فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أدن منه ينأ عني ويبعد
يلوم وما أدري علام يلومني
كما لامني في الحي قرط بن أعبد
وأيأسني من كل خير طلبته
كأننا وضعناه إلى رمس ملحد
على غير ذنب قُلتُهُ، غير أنني
نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقريت بالقري وجدك إنني
متى يك أمر النكيثة أشهد

وإن أدع في الجلى أكن من حماتها
 وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
 وإن يقذفو بالقذع عرضك أسقمهم
 بكأس حياض الموت قبل التهدد
 بلا حدث أحدثته وكمحدث
 هجائي وقذفي بالشكاة ومطردى
 فلو كان مولاي امرءاً هو غيره
 لفرج كربى لأنظرني غدى
 ولكن مولاي امرؤ هو خانقي
 على الشكر والتسأل أو أنا مفتد
 وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
 على المرء من وقع الحسام المهند
 فذرني وخلقي؛ إنني لك شاكر
 ولو حل بيتي نائياً عند ضرعد
 فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
 ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
 فألفيت ذا مال كثير، وعادني
 بنون كرام سادة مسود
 أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه
 خشاش كراس الحية المتوقد

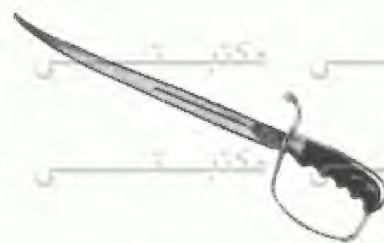
فَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كُشْحِي بَطَانَةً
لِعُضْبِ رَقِيقِ الشُّفْرَتَيْنِ مُهَنْدٍ
حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ
كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدءُ لَيْسَ بِمَعْضَدٍ
أَخِي ثَقَّةٌ لَا يَنْثَنِي عَنْ ضَرْبَةٍ
إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي
مَنْعِيًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
وَبِرْكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
نَوَادِيهَا أَمْشِي بِعُضْبٍ مُجَرَّدٍ
فَمَرْتُ كَهَاةً ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٍ
عَقِيلَةٍ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلْنَدُ
يَقُولُ وَقَدْ تَرَأَ الْوُظَيْفُ وَسَاقُهَا:
أَلَسْتَ تَرَى أَن قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدٍ؟
وَقَالَ: أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ
شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيَهُ مُتَعَمِّدٍ؟
فَقَالَ: ذُرُّوهُ إِنَّمَا نَضَعُهَا لَهُ
وَالَا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزْدَدُ
فَظْلُ الْإِمَاءِ يَمْتَلِئُنْ حَوَارِهَا
وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ

فَإِنْ مُتْ فَاَنْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
 وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ
 وَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِي لَيْسَ هُمُهُ
 كَهَمِّي، وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي
 بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى، سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَاءِ
 ذَلِيلٌ بِأَجْمَاعِ الرُّجَالِ مُلْهَدٍ
 فَلَوْ كُنْتُ وَغَلًا فِي الرُّجَالِ لَضُرْنِي
 عِدَاوَةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ
 وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الْأَعَادِي جُرَاتِي
 عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصَدَقِي وَمَحْتَدِي
 لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُفْمَةٍ
 نَهَارِي، وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسِرْمَدٍ
 وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ
 حِفَاضًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَالتَّهْدُدِ
 عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى
 مَتَى تَعْتَرِكُ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرْعَدِ
 وَأَصْفَرُ مَضْبُوحٌ نَظَرْتُ حَوَارِهِ
 عَلَى النَّارِ وَاسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمَدِ
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
 وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ

ويأتيك بالأنباء من لم تبع له
بتاتاً، ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الأيام إلا معارة
فما استطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فإن القرين بالمقارن يقتدي



مقتل الأعشى الهمداني



ترجمته^(١)

هو «عبدالرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن مالك بن عبدالحق بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر بن مالك ابن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان وهو «أوسلة» بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»^(٢).

هكذا ساق الهمداني نسبه في الجزء العاشر من سفره الموسوم بالإكليل. والهمداني أقوم على هذا النسب من غيره ممن عنوا بأخبار الأعشى، وأوردوا في نسبه قطعاً من هذا السياق اعتوره الخلط حيناً والتحريف حيناً آخر^(٣).

(١) نقلاً عن: رسالة (ديوان أعشى همدان وأخباره) للدكتور حسن عيسى أبو ياسين، بتصرف يسير.

(٢) الإكليل ٨٥/١٠ وفي آخر هذا السياق قال الهمداني: «وقد يقول نساب الكوفة: ابن عبدالحق - بدلاً من ابن عبدالحق الوارد في السياق هنا - وهو ابن عبدالحق».

(٣) من ذلك في الأغاني ٢٢/٦، ط دار الكتب، قال: «وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن عبدالحق بن جشم بن زيد» وواضح أن هذا السياق غلب عليه الخلط والتصحيف في أكثر من موضع إذا ما قيس بسياق الهمداني المتقدم، ولعل أظهر ما فيه أن جعل الحارث جداً للأعشى وهو عند الهمداني أب له، ثم زاد في موضع وحرف في موضع آخر، وأسقط ما بين عبدالحق - وصوابه عبد الحق - وبين جشم بن حاشد ستة أسماء أخرى. واتفق في أول هذا السياق معه الزبير ابن بكار في الموفقيات، ص ٥٤٨؛ والأمدي في المؤتلف والمختلف، ص ١٢. أما ابن حزم فلم يزد في جمهرته، ص ٢٩٢ على القول أنه «عبدالرحمن بن الحارث»، ومثل ذلك نجده عند ابن حبيب في المغتالين من الشعراء، ص ٢٦٥. قال: هو «عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث بن نظام» وهذا خلط منكر.

لُقِّبَ بالأعشى، وفي قبائل العرب ما يزيد على ثلاثين شاعراً يعرفون بهذا اللقب، وإنما نُسبوا إلى قبائلهم فقليل: أعشى همدان، وأعشى شيبان، وأعشى باهلة.. إلخ تمييزاً لهم عن الأعشى الكبير ميمون بن قيس.

وفي معجم الشعراء للمرزباني والمؤتلف والمختلف للآمدي جملة من أسماء هؤلاء الشعراء.

ويكنى أبا المصْبَح، وصفه أبو الفرج بقول: هو شاعر فصيح، كوفي، من شعراء الدولة الأموية^(١).

وَعَدَهُ الأصمعي قبل ذلك في الفحول الإسلاميين المكثرين^(٢)، وكان يحفظ له كثيراً من الأشعار والأخبار نجدها فيما رواه أبو الفرج من طريقه وهو يترجم الأعشى.

أما الجاحظ فقال: «ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن تنافر إليه الأشراف: أعشى همدان»^(٣).

لم يرتبط اسم أعشى همدان بأي حدث تاريخي كما ارتبط بثورة ابن الأشعث الذي خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي، وحشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له

(١) الأغاني ٢٣/٦، ط دار الكتب.

(٢) الأغاني ٤٥/٦.

(٣) البيان والتبيين ٤٨/١، ط هارون.

نباهة إلا خرج معه، لثقل وطأة الحجاج عليهم، وكان فيمن خرج معه أعشى همدان^(١).

وقد شارك في هذه الثورة مشاركة فعلية، ووقف منها موقفاً فنياً فيما أنشده من شعر، إذ كان شديد التحريض في تلك الثورة على الحجاج، وانطلق ينشد الأشعار في مدح ابن الأشعث تارة وفي هجاء الحجاج تارة أخرى، وهو في جميعها يحاول أن يجمع القبائل العربية إلى لواء هذه الثورة بما كان يثيره فيها من عصبية قبلية وبما كان يذيعه فيها من ذكر المجد اليمني القديم الذي يمثله ابن الأشعث الكندي، فهو صاحب «إرث جدود» في الملك والمجد.

لقد كان أعشى همدان شاعر هذه الثورة بلا منازع، ولم تكن مشاركته فيها مشاركة فنية فحسب، وإنما شارك فيها مشاركة عملية إذ جرد لها سيفه ولسانه جميعاً، فكان بذلك من أشد الناس تحريضاً على قتال الحجاج وخلعه بما أنشده في هجائه من الأشعار، وبما قاله في حض الناس من قحطانيين وعدنانيين على الانضمام لصفوف الثورة.

وتحدثنا أخباره فيها أنه كان أول من خلع الحجاج والخليفة الأموي عبد الملك بين يدي ابن الأشعث وهو في سجستان^(٢).

(١) الأغاني ٦/٦٤، وانظر في أحداث ثورة ابن الأشعث: الطبري، أحداث سنة (٨١هـ - ٨٣هـ).

(٢) المسعودي في مروج الذهب ٣/١٥٥.

ولم تكن دوافع أعشى همدان في هذه الثورة تختلف في شيء عن دوافع ابن الأشعث في طلب المجد والسيادة، وبعثه من جديد في قبائل اليمن التي يتربع ابن الأشعث اليوم على عرش زعامتها الموروثة، بما كان لقبيلته كندة من أسباب في الملك والسيادة.

والأعشى يلتقي مع ابن الأشعث في هذه الثورة من ناحيتين، فكلاهما يصدر في دوافعه عن عصبية يمنية خالصة يجتهدان في إحيائها وإحياء ما كان لها من المجد والسلطان، وقد ضاقت نظرة الأعشى بصفة خاصة حين رأى أن مجد اليمن القديم يتقاسمه قبيلان هما: كندة وهمدان؛ ففيهما كان الملك والسيادة، فإذا كان مجد كندة قد انتهى إلى ابن الأشعث فإن مجد همدان قد انتهى إلى آل سعيد بن قيس الهمداني الحاشدي فهما «سليلا ملوك في الزمان أعزّة» وفضلاً عن التقاء كندة وهمدان في هذا الجانب فإنهما تلتقيان في جانب آخر، فأم ابن الأشعث هي بنت سعيد بن قيس الهمداني، وإلى هذا وذاك يشير الأعشى بقوله مخاطباً ابن الأشعث:

إِنْ تَكُ مِنْ كِنْدَةٍ فِي بَيْتِهَا
فَإِنَّ أَخَوَالِكَ مِنْ حَاشِدٍ

وبقوله في موضع آخر:

فَإِذَا سَأَلْتُ: الْمَجْدُ أَيْنَ مَحَلُّهُ
فَالْمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدٍ

ونمضي مع أخبار هذه الثورة، أو قل إننا نمضي مع أخبار
الأعشى فيها، فنراه يسجل وقائعها ابتداء وانتهاء، ويدور معها
حيثما دارت وكأنما وجد فيها منتهى أمانيه.

نجده ابتداء في سجستان حيث بدأت مسيرة ابن الأشعث
بجش الطواويس يهدي به نحو العراق لا نتزاعه من الحجاج. بينما
الأعشى يحجل بين يديه على فرس له أشقر وهو ينشد^(١).

شَطَّتْ نَوَى مِنْ دَارِهِ بِالْإِيوَانِ
إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ
مَنْ عَاشِقُ أُمْسَى بِزَابُلِسْتَانِ
إِنْ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ^(٢)
كَذَابُهَا الْمَاضِي وَكَذَابُ ثَانِ
أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ
إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) وردت هذه الأرجوزة في مصادر كثيرة، لعل أبرزها كتاب الأغاني؛ وتاريخ الطبري
والمغتالين من الشعراء؛ ومروج الذهب وغيرها كثير.

انظر: في تخريجها الديوان صفحة: ١٦٣.

(٢) إذا كان الشاعر أراد بالكذاب الثاني الحجاج بن يوسف الثقفي فإن الكذاب الأول
من ثقيف المختار بن أبي عبيد الثقفي. الذي قال عنه ابن حزم في الجمهرة،
ص ٢٦٨: إنه ادعى النبوة بالكوفة.

سار بجمع كالدبى من قحطان
 ومن معد قد أتى ابن عدنان
 بجحفل جم شديد الإرنان
 فقل لحجاج ولي الشيطان
 ليثبت لجمع مذحج وهمدان
 والحي من بكر وقيس عيلان
 فإنهم ساقوه كأس الذيفان
 وملحقوه بقري ابن مروان

ولعل أظهر ما في هذا النص اجتماع القبائل العربية
 القحطانية والعدنانية: على حد سواء على قتال الحجاج وخلعه،
 ففيها من القحطانية كندة التي يمثلها ابن الأشعث، وهمدان يمثلها
 الشاعر نفسه مع بقية قومه، وقبائل من مذحج، ومعلوم أن
 مذحجاً تضم قبائل كثيرة مثل: مراد وبلحارث بن كعب وزبيد، ثم
 هناك العدنانية وشمل الشاعر جمهور قبائلها في بكر وقيس
 عيلان، والشاعر على هذا النحو يؤكد ما ذهبنا إليه من أن
 العصبية القبلية كانت توجه دوافعه في تلك الثورة.

أما الأمر الثاني فيتصل بتعريض الشاعر بالحجاج وقبيلته
 ثقيف، وما ذلك إلا ليزيد في إفساد سيرته عند الناس، لتزيد
 بذلك ثورتهم عليه، فرأى أنه كفر وتمادى في كفره وطغيانه، حتى

صار ولياً للشيطان، ثم يذكر بأن ذلك الأمر ورثه الحجاج عن قبيلته ثقيف التي خرج منها رجال طالما افتروا على الله الكذب بادعائهم النبوة؛ فمنها كذابها الأول المختار أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة بالكوفة كما قال ابن حزم.

وقصد الأعشى بذلك تعبئة «الرأي العام» إذا جاز هذا التعبير ضد الحجاج - كما سيأتي إن شاء الله -.

لقد دارت الدائرة على ابن الأشعث في آخر المطاف، ومني بهزيمة ساحقة من الحجاج في (دير الجماجم) (سنة ٨٢هـ)، وتفرق جميع من معه شذر مذر، فمنهم من فرَّ ومنهم من قُتل ومنهم من أسر، مصداقاً لما قاله أئمة أهل السنة والجماعة في سنة الله فيمن خرج على سلطان المسلمين، وأن مصيره الفشل والخذلان، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

أما أعشى همدان فإنه كان من الواقعيين في أسر الحجاج، حيث كانت نهايته - كما سيأتي إن شاء الله -.



القصيدة التي قتلته

علمنا - سابقاً - أن أعشى همدان قد قصر شعره على نصر
ثورة ابن الأشعث، إما بمدح صاحبها، كما في قوله^(١)؛

يا بى الإله وعزة ابن محمد
وجدود ملك قبل آل ثمود
أن تأنسوا بمذممين، عروقههم
في الناس إن نسبوا عروق عبید
كم من أب لك كان يعقد تاجه
بجبین أبلج مقول صندید
وإذا سألت: المجد أين محله؟
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس باذخ
بَخْ بَخْ لوالده وللـمـوـلـود
ما قصرْتُ بك أن تنال مدى العلا
أخلاق مكرمة وإرث جدود
قرم إذا سامى القروم ترى له
أعراق مجد طارف وتليد

(١) الأغاني ٤٦/٦.

وَإِذَا دَعَا لِعَظِيمَةٍ حُشِدَتْ لَهُ
هَمْدَانٌ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
أُسْدُ الْإِبَاءِ سَمْعَنَ زَارَ أُسُودِ

وَإِذَا دَعَوْتَ بِآلِ كِنْدَةَ أَجْضَلُوا
بِكَهُولٍ صَدَقَ سَيِّدُ وَمَسُودِ

وَشَبَابِ مَأْسَدَةٍ كَأَنَّهُمْ سَيُوفَهُمْ
فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ بَرُوقُ رَعُودِ

مَا إِنْ تَرَى قَيْسًا يَقَارِبُ قَيْسَكُمْ
فِي الْمَكْرُمَاتِ وَلَا تَرَى كَسْعِيدِ

وإما أن يكون شعره في هجاء الحجاج الثقفي، وهو ما كان
سبباً في قتله بعد أن أمكن الحجاج منه.

فمن ذلك: أنه لما أُتِيَ به إلى الحجاج أسيراً بعد معركة (دير
الجماجم) قال له الحجاج:

الحمد لله الذي أمكن منك! ألسنت القائل:

لَمَّا سَفَوْنَا^(١) لِلْكَفُورِ الْفَتَانَ
بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

سَارِبِ جَمْعٍ كَالْقَطَا مِنْ قَحْطَانٍ
وَمِنْ مَعْدٍ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ

(١) سفا: خف وأسرع.

أمكن ربي من ثقيف همدان
يوماً إلى الليل يسلي ما كان
إن ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان
أولست القائل:

يابن الأشج^(١) قريع كند
ددة لا أبالي فيك عتبا
أنت الرئيس ابن الرئـ
س وأنت أعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو
سف خرم من زلق فتبا
فانهض فديت لعله
يجلو بك الرحمن كريا
وابعث عطية في الخيو
ل يكبنه عليه كبا

كلا يا عدو الله، بل عبدالرحمن بن الأشعث هو الذي خر من
زلق فتب، وحرار وانكب، وما لقي ما أحب؛ ورفع بها صوته وأربد
وجهه واهتز منكبا، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمتته نفسه
وارتعدت فرائضه.

(١) الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبدالرحمن بن محمد صاحب الثورة.
والقريع: السيد.

فقال له الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:
أبى الله إلا أن يُتَمِّمَ نوره
ويُطْفِئَ نار الفاسقين فتخمدا
ويُنْزِلَ دُلًّا بالعراق وأهله
كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج أن سلَّ سيفه
علينا فوئى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيتَه
حُساماً ملقى للحروب مُعوذاً
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعهم
ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشردا
بما نكثوا من بَيْعة بعد بَيْعة
إذا ضَمِنُوهَا اليوم خاسوا^(١) بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة
من القول لم تصعد إلى الله مصعدا
ولمَّا دَلَفْنَا لابن يوسف ضِلَّةً^(٢)
وأبرق منا العارضان وأرعدا

(١) خاس: غدر ونكث.

(٢) الضلة (بالكسر): ضد الهدى.

قطعنا إليه الخندقين وإنما
 قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرصدًا^(١)
 فصادمنا الحجاجُ دون صفوفنا
 كفاحاً ولم يضرب لذلك موعداً
 بجُند أمير المؤمنين وخيله
 وسلطانهِ أمسى مُعاناً مؤيداً
 ليهنئ أمير المؤمنين ظهوره
 على أمة كانوا بغاةً وحُسُداً
 وجدنا بني مروان خير أئمة
 وأعظمَ هذا الخلق حلماً وسُودداً
 وخيرَ قريش في قريش أرومة
 وأكرمهم إلا النبيَّ محمداً
 إذا ما تدبرنا عواقبَ أمرنا
 وجدنا أمير المؤمنين المُسدداً
 سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة
 وإن كایدوه كان أقوى وأكيدا
 كذاك يضل الله من كان قلبه
 ضعيفاً ومن والى النفاق والحداء

(١) مرصداً: مترقباً.

فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم
وبيضاً عليهن الجلابيب خرداً
يناديهم مستعبرات إليهم
ويذرين دمعاً في الخدود وإثمداً
والا تناولهن منك برحمة
يكن سبايا والبُعولة أعبداً
تعطف أمير المؤمنين عليهم
فقد تركوا أمر السفاهة والردى
لعلهم أن يحدثوا العام توبةً
وتعرف نُصحاً منهم وتودداً
لقد شمت يابن الأشعث العام مصرناً
فظلوا وما لاقوا من الطير أسعداً
كما شاءم الله النُجير^(١) وأهله
بجدك من قد كان أشقى وأنكداً
فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلّ سبيله.
فقال الحجاج: أتظنون أنه أراد المدح؟
لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه، وأراد به أن يحرض
أصحابه.

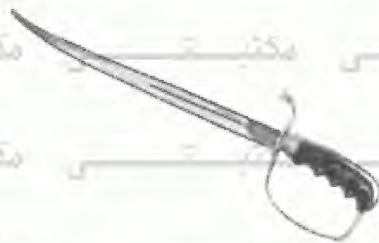
(١) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت.

ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدو الله أنك تخذعني بهذا
الشعر وتنفلت من يدي حتى تتجولا ألسن القائل! ويحك!
وإذا سألت: المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغرو وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللـمولود
والله لا تبخبع بعدها أبداً.
أو لست القائل:
وأصابني قوم وكنن أصيبهم
فاليوم أصير للزمان وأعرف
كذبت والله ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:
وإذا تصببك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل غيابة ستكشف
أما والله لتكونن نكبة لا تتكشف غيابتها عنك أبداً! يا
حرسي، اضرب عنقه؛ فاضرب عنقه^(١).



مقتل

صالح بن عبد القدوس



مكتبة
سفر النجوى
مكتبة

ترجمته^(١)

هو أبو الفضل: صالح بن عبد القدوس البصري، مولى الأزدي، أحد الشعراء المشاهير، كان صاحب حكمة لكنه قليل الدين، ممن تأثر بالفلاسفة في طلبهم الهدى من غير الشريعة، وصاغوا أبيات الحكمة بعيدة عن مقاصدها ومعانيها.

قال عنه الذهبي - رحمه الله - في الميزان: «صاحب الفلسفة والزندقة» أي أنه خلط بينهما.

وقال أيضاً: «قال النسائي: ليس بثقة. قلت - أي الذهبي -: لا أعرف له رواية» فتعقبه الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «ويتعجب من قول الذهبي: لا أعرف له رواية، مع قول ابن عدي: وقد اتهمه النقاش بحديث: «زكاة الدار الضيافة»، وذكره في الضعفاء، وكذا العقيلي وابن الجارود»^(٢).

وقال عنه المرزباني في معجم الشعراء: «كان حكيم الشعراء، زنديقاً متكلماً، يقدمه أصحابه في الجدل عن مذهبهم».

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣٠٣/٩)، ومعجم الأدباء (٦/١٢)، ونكت الهميان (ص ١٧١)، وتهذيب ابن عساكر (٣٧١/٦)، ووفيات الأعيان (٢٩٤/٢)، وفوات الوفيات (٢٩١/١)، وميزان الاعتدال (٢٩٧/٢)، ولسان الميزان (١٧٢/٣)، وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٨٩).

(٢) لسان الميزان (١٧٣/٣).

وقال الشريف أبو القاسم المراغي في كتاب (غريب الفوائد):
«كان حماد الراوية، وحماد عجرد، وحماد بن الزبرقان،
وعبدالكريم بن أبي العوجاء، وصالح بن عبد القدوس وعبدالله بن
المقفع، ومطيع بن إياس، يحيى بن زياد الحارثي، وعلي بن الخليل
الشيبياني، مشهورين بالزندقة والتهاون بأمر الدين»^(١).

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان مشهوراً بالزندقة، وله مع
أبي الهذيل مناظرات، وشعر كله أمثال وحكم وآداب»^(٢).

ومن مستحسن قصائده، قوله:

المرء يجمعُ والزمان يُفَرِّقُ
ويظل يرقعُ والخطوب تمزقُ
ولأن يُعادي عاقلاً خيرُ له
من أن يكون له صديقٌ أحق
فارباً بنفسك أن تصادق أحمقاً
إن الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام إذا نطقتَ فإنما
يُبدى عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم
من يُستشار إذا استشير فيطرق

(١) لسان الميزان (١٧٣/٣).

(٢) تاريخ بغداد (٣٠٣/٩).

حتى يحلَّ بكلِّ وادٍ قلبه
 فيرى ويعرف ما يقول فينطق
 لا ألفينك ثاوياً في غربةٍ
 إن الغريب بكلِّ سهم يُرشق
 ما الناس إلا عاملان فعامل
 قد مات من عطشٍ وآخر يغرق
 والناسُ في طلب المعاش وإنما
 بالجدِّ يرزق منهم من يُرزق
 لو يرزقون الناس حسبَ عقولهم
 ألفت أكثر من ترى يتصدق
 لكنه فضل المليك عليهم
 هذا عليه موسعٌ ومضيق
 وإذا الجنازة والعروس تلاقيا
 ورأيت دمع نوائح يتَرَقَّرق
 سكتَ الذي تبع العروس مبهُتاً
 ورأيت من تبع الجنازة ينطق
 وإذا امرؤ لسعته أفعى مرّة
 تركته حين يجرُّ حبلاً يفرق
 بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا
 ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

ومن قصائده الجميلة أيضاً قوله:

صرمتُ حبالَكَ بعد وصلِكَ زينبُ
والدَّهرُ فيه تصرُّمٌ وتقلُّبُ

نشرت ذوائبها التي أضحت لها
سوداً ورأسك كالثغامة أشيبُ

وكذاك وصلُ الغانيات فإنه
آلُ ببلقةٍ وبرقُ خلبُ

فدع الصبا فلقد عداك زمانه
واجهدُ فعمرك مرَّ منه الأطيبُ

ذهب الشباب فما له من عودةٍ
وأتى المشيب فأين منه المهربُ

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
واذكرُ ذُنُوبَكَ وابكها يا مذنبُ

واذكر مناقشة الحساب فإنه
لا بدَّ يَحصى ما جَنيتَ ويكتبُ

والليل فاعلم والنهار كلاهما
أنفاسنا فيه تُعدُّ وتحسبُ

لم ينسَهُ المَلِكُ حينَ نسيتهُ
بل أثبتاه وأنت لاه تلعبُ

والرُّوحُ فيكَ وديعةٌ أودِعَتْها
سَتَرْدُها بالرَّغْمِ منك وتُسَلِّبُ
وغُرورُ دُنْيَاكَ التي تَسْعَى لها
دارُ حَقِيقَتُها متاعٌ يذهبُ
وجميعُ ما حَصَلَتْه وجمَعَتْه
حقاً يقيناً بعد موتكَ يُنهبُ
تَباً لدارٍ لا يدومُ نعيمُها
ومَشِيدُها عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
فاسمعْ هُدًى نَصائِحاً أَوْلَا كَها
بَرُّ نَصُوحٍ لِلْأَنَامِ مَجْرَبُ
أَهْدَى النِّصِيحَةِ فَاتَعِظْ بِمَقَالِهِ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَدْرَبُ
لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوُّونَ لِأَنَّهُ
ما زالَ قِدْماً لِلرِّجَالِ يَهْدَبُ
وكذلكَ الأَيامُ في غِصَّاتِها
مَضَضٌ يَذِلُّ لَهَا الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرُ مَكَانَةً
فَتَرَاهُ يُرْجَى ما لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُسَرُّ بِالْتَّرحيبِ عِندَ قَدومِهِ
وَيُقَامُ عِندَ سَلامِهِ وَيُقَرَّبُ

فاقنَعُ ففي بعض القناعة راحة
 ولقد كُسي ثوبَ المذلة أشعبُ
 * لا تحرصنْ فالحِرصُ ليس بزائدٍ
 في الرزق بل يُشقي الحريص ويُتعبُ
 كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقهُ
 رغداً ويُحرّم كيس ويُخيبُ
 فعليك تقوى الله فالزمها تفرُّ
 إن التَّقِي هو البهيُّ الأهيبُ
 واعمل بطاعته تنل منه الرضا
 إن المطيع لربه لمقربُ
 أدّ الأمانة والخيانة فاجتنبُ
 واعدل ولا تظلم يطيب المكسبُ
 واحذر من المظلوم سهماً صائباً
 واعلم بأن دعاءه لا يُحجبُ
 واخفِضْ جناحك للأقارب كلهم
 بتدليل واسمح لهم إن أذنبوا
 وإذا بليت بنكبة فاصبر لها
 من ذا رأيت مُسلماً لا يُنكبُ
 وإذا أصابك في زمانك شدةُ
 وأصابك الخطبُ الكريه الأصبُ

فاسجد لربك إنه أدنى لمن
 يدعوه من حبل الوريد وأقرب
 واحذر مؤاخاة الدني لأنه
 يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
 واختر صديقك واصطفيه تفاخراً
 إن القرين إلى المقارن ينسب
 ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً
 إن الكذوب لبئس خلاً يصحب
 وذر الحقوق وإن تقادم عهد
 فالحقد باق في الصدور مغيب
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه
 فالمرء يسلم باللسان ويعطب
 وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
 ثرثارة في كل ناد تخطب
 والسرفاكتمه ولا تنطق به
 فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
 واحرص على حفظ القلوب من الأذى
 فرجوعها بعد التنافر يصعب
 إن القلوب إذا تنافروا
 شبه الزجاجة كسرها لا يشعب

واحذر عدوك إذ تراه باسمًا
 فالليث يبدو نابه إذ يغضبُ
 وإذا الصديق رأيتَه مُتملِّقًا
 فهو العدوُّ وحقُّه يُتجنبُ
 * لا خير في ودِّ امرئٍ مُتملِّقٍ
 حلَّو اللسان وقلبه يتلهَّبُ
 x يُعطيك من طرف اللسان حلاوة
 ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ
 يلقاك يحلف أنه بك واثقُ
 وإذا تَوَارَى عنك فهو العقربُ
 وإذا رأيتَ الرُّزْقَ ضاق ببلدة
 وخشيتَ فيها أن يضيق المكسبُ
 فارحلْ فأرض الله واسعة الفضا
 طولاً وعرضاً شرقها والمغرب^(١)



(١) انظر: جواهر الأدب، للهاشمي (ص ٦٦٧ - ٦٧٠).

مقتله

لقد تدرج الشيطان بهذا الشاعر الزنديق في مهاوي الردى،
وتقلب به بين دركات الضلال، إلى أن جعله يمس جناب المصطفى ﷺ
ويعرض به في شعره، والعياذ بالله!

وقد نقل ابن المعتز قصيدته القبيحة في كتابه (طبقات
الشعراء) مدلاً على زندقة الرجل، وقال بعدها: «عليه لعنة الله إن
كان قالها».

وهي قوله:

غَصَبَ الْمَسْكِينُ زَوْجَتَهُ
فَجَرَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ دُرِّهِ
مَا قَضَى الْمَسْكِينُ مِنْ وَطَرٍ
لَا وَلَا الْمَعِشَارُ مِنْ وَطَرِهِ
عَدْتُ بِاللَّهِ اللَّطِيفُ بِنَا
أَنْ يَكُونَ الْجَوْرُ مِنْ قَدَرِهِ

يُعرض الزنديق بقصة زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش -
رضي الله عنها - زاعماً الخبيث أن رسول الله ﷺ قد أكره زيد بن
حارثة رضي الله عنه على طلاقها حتى يتسنى الزواج بها!!

متناسياً أن الله قد قطع الظنون حول هذا الزواج بإنزال آيات
مباركات من القرآن تكشف حقيقته؛ ليهلك بعدها من هلك عن بينة.

وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝﴾.

وملخص القصة كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري^(١).

«قد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي، فساقها سياقاً حسناً واضحاً، ولفظه:

«بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، كان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجهها زيد بن حارثة - موله - فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله نبيه بعد أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبني زيدا».

أي قبل أن يحرم الإسلام التبني، فأراد الله بهذه الحادثة أن يبين للناس حكماً كانوا يجهلون، وهو جواز أن يتزوج الرجل مطلقه

من تبناه قبل تحريم التبني، وأنها لا تكون كزوجة الولد المطلقة، ودليله قوله سبحانه بعد ذكر الحادثة: ﴿لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْنَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

أما ما ذكره بعض المفسرين من روايات مكذوبة أو ضعيفة في تفسير هذه الآية من أن النبي ﷺ رأى زينب بنت جحش فأعجبته فأراد زيد فراقها، فقال له ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ويخفي في نفسه محبة الزواج بها!

فكل هذا باطل لا يصح، وقد نزه الله رسوله ﷺ عنه.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أخرج القصة السابقة: «وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها»^(١).

وما أحسن ما قاله ابن القيم - رحمه الله - تعليقا على هذه القصة: «وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله ﷺ حق قدره أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: «سُبْحَانَ مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ»، وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد ابن حارثة: أمسكها حتى أنزل الله عليه: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن

(١) فتح الباري (٣٨٤/٨).

العشق، وصنّف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميلة كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ قد تبناه، وكان يدعى زيد بن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه؛ لأن زيدا كان يدعى ابنه.

فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له؛ ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يُعَدُّ فيها نعمه عليه لا يُعَاتِبُهُ فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحقُّ أن يخشاه، فلا يتحرَّج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه لصلبه، ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾.

وقال في هذه السورة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.
وقال في أولها: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

فتأمل هذا الذبَّ عن رسول الله ﷺ، ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق»^(١).

الحاصل:

أن هذا الزنديق قد ارتقى مرتقى صعباً بتطاوله ولمزه لرسول الله ﷺ، وهو الأمر الذي يُحكم على فاعله بالردة والقتل دون استتابه، نعوذ بالله من غضب الله.

سارت هذه الأبيات السيئة بين الناس، فحملها أصحاب الغيرة والصدق إلى خليفة المسلمين المهدي العباسي الذي قام بطلب إحضار صالح بن عبدالقدوس للتحقيق معه.

قال القاضي ابن خلكان^(٢): «فأحضره المهدي وقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟»

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركتُ بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي ﷺ: «ادروا الحدود بالشبهات»، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رَقَّ له، وأمر بتخليته.

فلما ولى قال له المهدي: أنشدني قصيدتك السينية.

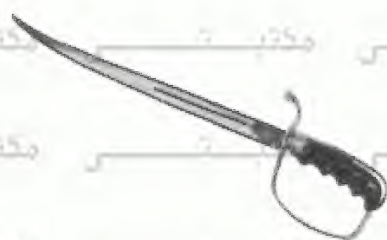
(١) زاد المعاد (٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧). ومن أراد زيادة البيان في تفنيد هذه القصة الباطلة فعليه برسالة (التحقيق في قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - في ضوء الكتاب والسنة) للشيخ محمد سالم الجكني.
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٤٩٢) بتصرف يسير.

فأنشده، حتى بلغ إلى قوله فيها:
والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله
كذي الضنى عاد إلى نكسه
فقال له المهدي: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك
بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر». ^(١)
وقال ياقوت في معجم الأدباء: «قتله المهدي بيده، ضربه
بالسيف فشطره شطرين، وعُلّق بضعة أيام للناس، ثم دُفن».



مقتل

حماد عجرد



بسم الله الرحمن الرحيم
مكتبي

ترجمته^(١)

هو حمّاد بن يحيى بن عمرو بن كليب، ويكنّى أبا عمرو مولى عامر بن صعصعة. وذكر ابن النطاح أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة.

وقال صالح بن سليمان: «كان عم حمّاد عجرد يقال له: مولى بن كليب، وكانت له بقيّة. وابن عمّه عمار بن حمزة بن حمزة بن كليب. انتقلوا من الكوفة، ونزلوا واسطاً فكانوا بها».

لا تتفق المصادر على نسبه وولائه وكنيته، ولكنها تتفق جميعاً على لقبه، إلا أنها تعود وتختلف في تعليل هذا اللقب.

فيقول أبو الفرج في موضع من الأغاني^(٢): إن أعرابياً مرّ بحمّاد عجرد وهو يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان. فقال: «تعجرد يا غلام» فسمي عجرداً. والمتعجرد المتعري. وذكر أبو الفرج براوية عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء أنه سمّي «عجرداً» لقول عمرو بن سندی، مولى ثقيف، فيه:

سحبت بغلة ركبت عليها

عجباً منك خيبة للمسير

(١) انظرها موسعة في: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٥٤)، والأغاني (٣٠٤/١٤) - (٣٦٣)، وتاريخ بغداد (١٤٨/٨)، ومعجم الأدباء (٢٤٩/١٠)، وطبقات الشعراء لابن المعتز (٦٦٣)، ووفيات الأعيان (٢١٠/٢)، ورسالة (حماد عجرد) للدكتورة نازك سابا يارد، ومنها استفدنا كثيراً مما جاء في الترجمة.

(٢) الأغاني (٣٠٥/١٤).

زعمت أنها تراه كبيراً
حملها عجرد الزنا والفجور
إن دهرأ ركبت فيه على بغل
ل وأوقفته بباب الأمير
لجدير أن لا نرى فيه خيراً
لصغير منا ولا لكبير^(١)
ما امرؤ ينتقيك يا عقدة الكلد
سب لأسراره بجد بصير^(٢)
لا ولا مجلس أجنك للذا
ت يا عجرد الخنا بستير^(٣)

أما والد حماد فكان مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة أو
كان وكيلاً لها في ضعيتها في السواد.
كان حماد عجرد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية،
وكان على اتصال بخلفاء الدولتين، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني
أمية شهرته في أيام بني العباس.
فيذكر صاحب الأغاني أن الوليد بن يزيد أمر شراعة بن
الزندبوز^(٤) أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة.

(١) في هذا سب للدهر لا يجوز كما هو معلوم، ولكنه غير مستغرب على متهتكى
الشعراء، ومجانهم، فما هي بأول بوائقهم.

(٢) عقدة الكلب: قضيبه.

(٣) أجنك: سترك. الخنا: الفحش. ستير: مستور.

(٤) شاعر أموي.

فسمي له مطيع بن أياس وحمّاد عجرد والمطيعي المغني، فكتب في
إشخاصهم إليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتل
الوليد، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أما حمّاد عجرد فقد أقام مدة في بغداد، إلا أنه خرج منها
أيام أبي جعفر المنصور في طلب المعاش، فذهب مع يحيى بن زياد
إلى محمد بن أبي العباس^(١).

يُعد حمّاد عجرد من زنادقة الشعراء ومتهتكهم باتفاق الرواة
والمؤرخين، وله في هذا المجال الأبيات والمواقف الكثيرة التي تتضح بهذا.
وثارت بينه وبين الشاعر الأعمى بشار بن برد أهاجٍ وقبائح
ومطارحات شعرية بذيئة.

فمن ذلك قوله عن بشار^(٢):

نهـاره أخـبث من ليله
ويومـه أخـبث من أمـسه
وليس بالمقلع عن غـيه
حتى يوارى في ثرى رمـسه

وقوله:

لو طليتُ جلدته عنبراً
لأفسدت جلدته العنبراً

(١) وهو ابن خال أبي العباس السفاح أول خلفاء العباسيين.

(٢) الأغاني (٣١٣/١٤).

أو طليت مسكاً زكياً إذا
تحول المسكُ عليه خ..

ومن قول بشار فيه:

ما لمت حماداً على فسقه
يلومه الجاهل والمائق

قال الخطيب البغدادي^(١) عنه: «كان خليعاً ماجناً»

وروى بسنده عن علي بن الجعد: «قال: قدم علينا في أيام
المهدي هؤلاء القوم: حماد عجرد، ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى
بن زياد، فنزلوا بالقرب منا، فكانوا لا يُطاقون خبثاً ومجانةً».

وذكر ياقوت في معجم الأدباء^(٢) عن إبراهيم العامري: «كان
بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون! حماد عجرد، وحماد
الراوية، وحماد بن الزبرقان يتنادمون ويتعاشرون معاشرة جميلة،
ويتشادون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمون
بالزندقة جميعاً».



(١) تاريخ بغداد (٨/١٤٩).

(٢) (٢٥٠/١٠) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٦٣).

مقتله

مر معنا أن حمّاد عجرد توجه إلى محمد بن أبي العباس في
البصرة فكان عنده، وكان محمد هذا يهوى زينب بنت سليمان بن
علي منذ أن قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمه أبي جعفر
المنصور.

فخطبها، فلم يزوجه بها لخلل كان في عقله، وكان حمّاد
عجرد من ندمائه فقال له: قل فيها شعراً. فشيب^(١) بها حمّاد
عجرد على لسان محمد هذا بقصيدة سارت على ألسنة أهل
البصرة، يقول فيها^(٢):

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي
غضبتُم منه ولم تغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم
ذنباً فقيم الهجريا زينبُ؟
إن كنتُ قد أغضبتكم ضلّةً
فاستعتبوني إنني أعتبُ

(١) تغزل.

(٢) وله أبيات أخرى - أيضاً - يشيب فيها بزينب على لسان محمد بن أبي العباس،
تجدها في الأغاني (٣٥٥/١٤ و ٣٥٨).

عودوا على جهلي بأحلامكم

إني - وإن لم أذنب - المذنبُ

فلما سمع محمد بن سليمان أخو زينب بهذا الشعر طلب قتل حماد
عجرد بسببه، ولكنه لم يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس.
فلما مات محمد بن أبي العباس طلبه محمد بن سليمان
ليقتله، فهرب منه حماد إلى أبي جعفر المنصور وقال عدة أشعار
يستعطف محمد بن سليمان لعله يرضى عنه، ومن ذلك قوله له:

يابن عم النبي وابن النبي

لعلي إذا انتـمى وعلي

أنت بدرُ الدجى المضيء إذا أظ

لم واسود كل بدر مُضي

وحيا الناس في المحول إذا لم

يُجد غيث الربيع والوسمي^(١)

إن مولاك قد أساء ومن أع

تب من ذنبه فغير مُسي

ثم قد جاء تائباً فاقبل التو

بة منه يابن الوصي الرضي^(٢)

(١) الحيا: المطر. والمحول: جمع محل وهو الجذب. والوسمي: مطر الربيع الأول؛ لأنه
يسم الأرض بالنبات.

(٢) يعني بالوصي علياً عليه السلام، وهذا من أباطيل الشيعة وأكاذيبهم حيث يزعمون أنه
عليه السلام أوصى له بالخلافة بعده.

ولكن محمد بن سليمان لم يرض بذلك وجدَّ في طلبه، فأجاره
أبو جعفر المنصور ولكنه اشترط عليه أن يهجو محمد بن سليمان!!
فقال يهجوهُ:

قل لوجه الخصي ذي العار إني
سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخو
ف وأنكرتُ صاحبي نهّارا
وظننتُ القبور تمنع جارا
فاستجرت التراب والأحجارا^(١)
كنت عند استجارتي بأبي أيّ
وبّ أبغي ضلالة وخسارا
لم يُجرني ولم أجد فيه حظاً
أضرم الله ذلك القبر نارا
وقال فيه:

له حَزْمٌ برغوثٍ وحلمٌ مكاتب
وغُلْمَةٌ سنّورٍ بليلٍ تُؤلّل

(١) كان حماد عجرد قبل أن يهرب إلى أبي جعفر المنصور قد استجار بقبر سليمان ابن علي والد محمد بن سليمان!! وهذا شاهد آخر على قلة ديانة هذا الشاعر الزنديق الذي لم يبال بارتكاب الشرقيات في سبيل دنياه.

وقال فيه أيضاً:

يا بن سليمان يا محمدُ يا
 من يشتري المكرمات بالسمن
 إن فخرت هاشمُ بمكرمةٍ
 فخرت بالشحم منك والعُكن
 لؤمك باد لمن يراك إذا
 أقبلت في العارضين والذُكن
 لبيتك إذ كنت ضيقاً نكراً
 لم تُدع من هاشم ولم تكن
 جداًك جداًن لم تُعب بهما
 لكنما العيبُ منك في البدن

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال: والله لا يُفلتني أبداً،
 وإنما يزداد حنقاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبداً.

ثم إن حماداً هرب من محمد بن سليمان، فأقام بالأهواز
 مستتراً، وبلغ خبره محمد بن سليمان، فأرسل مولىً له إلى
 الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به، فقتله غيلةً.

وقيل بأنه قتله على الزندقة^(١).

(١) وفيات الأعيان (٢١٣/٢) والبداية والنهاية (١١٤/١٠).

تقول الدكتورة نازك سابا يارد^(١): يبدو أن اتهام حماد بالزندقة لم يكن سببه تحامل بشار عليه، بل نجد إشارة إلى زندقته في كل المصادر التي ذكرته، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أن حماداً قال عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: «إنهم تعبدونا في كل أمر معنت متعب»!! نعوذ بالله من الضلال.

وما أجمل ما قاله الشاعر أبو هشام الباهلي الشاعر البصري عندما وقف على قبر بشار بن برد وحماد عجرد، فقال:

قد تبع الأعمى قضي عجرد

فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحباً

بقرب حمّاد وبشّار

تجاوزا بعد تنائيهما

ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعاً في يدي مالك

في النار، والكافر في النار^(٢)

وإن كنا لا نوافقه على الحكم على معين بدخول النار، سوى

من حكم الله عليه ورسوله ﷺ.

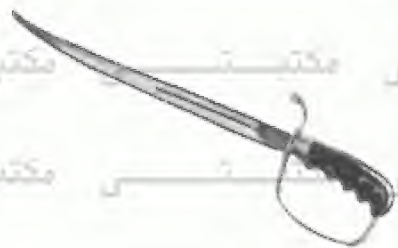
والله الهادي.

(١) حماد عجرد (ص ١٩ - ٢٠).

(٢) وفيات الأعيان (٢/٢١٣)، والأغاني (١٤/٣٦٣).

مقتل

دِغْبِل الخزاعي



تعمد النشر
مكتبي

ترجمته^(١)

هو دُعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خدّاش
ابن خالد بن عبد بن دُعبل بن أنس بن خزيمة الخزاعي يكنى أبا علي.
أصله من الكوفة وأقام ببغداد.

قيل: إن دُعبلًا لقب، وإن اسمه الحسن. ودُعبل بكسر الدال
هو اسم الناقة.

ولد سنة (١٤٨هـ).

كان دُعبل الخزاعي شاعراً مجيداً في الشعر، اشتهرت له بين
الناس قصائد جميلة، يأتي في مقدمتها قصيدته الشهيرة في مدح
آل البيت، قال عنها ياقوت في معجم الأدباء: «من أحسن الشعر
وأسنى المدائح» قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان،
فأعطاه عليها عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بُردة من ثيابه،
فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم فلم يبيعها.

وهي قوله:

مدارس آيات خلّت من تلاوةٍ
ومنزّل وحيٍ مُقفر العرصاتِ

(١) انظرها موسعة في: الشعر والشعراء (٧٢٧)، وتاريخ بغداد (٣٨٢/٨)، والأغاني
في (١٤٥-٦٨/٢٠)، ولسان الميزان (٤٣٠/٢)، ومعجم الأدباء (٩٩/١١)، والسير
(٥١٩/١١)، وغيرها من المراجع.

لآل رسول الله بالخيف من منى
 وبالركن والتعريف والجمرات
 ديار عفاها كل جون^(١) مباكر
 ولم تعف للأيام والسنوات
 قفا نسأل الدار التي خف أهلها
 متى عهدها بالصوم والصلوات
 وأين الأولى شطت بهم غربة النوى
 أفانين في الآفاق مفترقات^(٢)
 هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا
 وهم خير قادات وخير حماة
 وما الناس إلا حاسد ومكذب
 ومضطغن ذو إحنة وتيرات^(٣)
 إذا ذكروا قتلى بيدر وخبير
 ويوم حنين أسبلوا العبرات
 قبور بكوفات وأخرى بطيبة
 وأخرى بفخ^(٤) نالها صلواتي

(١) الجون: سحب أسود ممطر.

(٢) شطت: بعدت. أفانين: حال مما قبله يريد على أنواع وأحوال من التفرق.

(٣) إحنة: حقد، والترة: الثأر.

(٤) فخ: موضع بمكة.

وقبرُ بَغدادِ لنفسِ زكية
 تضمنها الرحمن في الغرفاتِ
 فأما المصماتُ التي لست بالغاً
 مبالغها مني بكنه صفاتِ
 نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
 معرّسهم فيها بشطّ فراتِ
 تقسمهم ريبُ الزمان كما ترى
 لهم عمرة^(١) مغشية الحجراتِ
 سوى أن منهم بالمدينة عُصبة
 مدى الدهر أنضاء^(٢) من الأزمانِ
 قليلة زوار سوى بعض زور
 من الضبيع والعقبانِ والرخماتِ
 لهم كل حين نومةً بمضاجع
 لهم في نواحي الأرض مختلفاتِ
 وقد كان منهم بالحجاز وأهلها
 مغاوير يختارون في السروات^(٣)

(١) العمرة: الزيارة.

(٢) أنضاء: صفة عصابة.

(٣) مغاوير: جمع مغوار: المقاتل كثير الغارات. السروات: جمع سراة اسم جمع أسرى، وهو الشريف ذو المروءة، يريد أنهم معدودون في السروات.

تنكَّبُ لأواء^(١) السنين جوارهم
 فلا تصطليهم جمرَةُ الجمراتِ
 إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا
 مساعِرُ جمرِ الموتِ والغمراتِ^(٢)
 وإن فخرُوا يوماً أتوا بمحمدٍ
 وجبريل والفرقانِ ذي السُّوراتِ
 مَلَأَمَك^(٣) في أهل النبي فإنهم
 أحيائي ما عاشوا وأهلُ ثِقَاتِي
 تخيرتهم رشداً لأمرِي فإنهم
 على كل حالِ خيرةُ الخيراتِ
 فيارب زدني من يقيني بصيرةً
 وزد حبَّهم يارب في حسناتي
 بنفسِي أنتم من كهولٍ وفتيةٍ
 لفك عُنَاةٍ أو لحملِ دياتِ
 أحبُّ قصيِّ الرحم من أجلِ حبكم
 وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

(١) الأواء: الشدة وضيق العيش. وتنكب: تعدل عنهم.

(٢) تشمس الفرس: منع ظهره وأبى الركوب، ومساعر: فاعل تشمس جمع مسعر، يريد إنهم إذا وردوا حرباً كان بهم ما بالخيل من تشمس، فيسعدون جمرات الموت بالقنا ولن يرددهم عنها راد.

(٣) ملامك: منصوب على التحذير، والمعنى كف ملامك عني في أهل النبي.

وأَكنتمُ حُبَّيْكمُ مخافة كاشح
عنيدٍ لأهل الحق غير مواتٍ
لقد حَفَّتِ الأيام حولي بشرها
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم ترأني من ثلاثين حجةً
أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ
لقطَّعَ قلبي إثرهم حسراتي
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
كَفَّانِي ما ألقى من العبراتِ
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري
فغير بعيدٍ كل ما هوأتِ
فإن قَرَّبَ الرحمن من تلك مدتي
وأخَّرَ من عمري لطول حياتي
شُفِيتُ ولم أترك لنفسي رزيةً
وَرَوَّيْتُ مِنْهُمْ مُنْصُلِي وقناتي
أحاولُ نقل الشمس من مستقرها
وأسمعُ أحجاراً من الصلِّداتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعانِدٍ
يميل مع الأهواء والشبهاتِ

قُصَارَايَ^(١) مِنْهُمْ أَنْ أَمُوتَ بِغُصَّةٍ
تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ
كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا
لَمَّا ضُمْنَتْ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

وهي قصيدة طويلة جميلة، لولا ما شأنها به من غلو في تشييعه، أخرجته عن السنة والطريقة القويمة في محبة آل بيت النبي ﷺ.

ومن مستحسن شعر دعبل أيضاً: قوله:

أَيْنَ الشَّبَابِ وَأَيَّةُ سَلَكَآ؟
لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلُّ بَلْ هَلَكَا؟؟
لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ
ضَحِكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَوْمُكُمْآ
يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُفِكَآ؟
لَا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدَا
قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

كان دعبل شاعراً -كما قال ابن خلكان-: «بذئ اللسان، مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم»^(٢).

(١) قصاراي: يقال: قصارك أن تفعل كذا: أي جهدك وآخر أمرك .

(٢) وفيات الأعيان (٢/٢٦٦).

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء»^(١) حتى إنه هجا قبيلته خزاعة.

وكان دعبل أيضاً كما قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: «من غلاة الشيعة» «خبيث اللسان والنفس»^(٢).

وقال عنه أيضاً: «رافضي بغيض سباب»^(٣).

كان المعتصم العباسي يبغض دعبلاً لطول لسانه، فبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله، فهرب منه إلى الجبل وقال يهجو:

بكى لشتات الدين مكتئب صب

وفاض بفرط الدمع من عينه غرباً

وقام إمام لم يكن ذا هداية

فليس له دين وليس له لبُّ

وما كانت الآباء تأتي بمثله

يملك يوماً أو تدين له العربُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا

من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ

(١) تاريخ بغداد (٢٨٣/٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥١٩/١١).

(٣) ميزان الاعتدال (٢٧/٢).

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
 خيارُ إذا عدوا وثامنهم كلبُ
 واني لأعلي كلبهم عنك رفعة
 لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
 لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
 وصيف وأشناسُ وقد عظم الكربُ^(١)
 وفضلُ ابن مروانٍ سيثلم ثلماً
 يظلُّ لها الإسلام ليس له شعبُ^(٢)
 وهجاه -أيضاً- بعد موته! ^(٣) ثم هجا بعده المتوكل!، وقبله
 هجا الرشيد والمأمون!



(١) وصيف وأشناس غلامان تركيان من قواد عند المعتصم.

(٢) شعب: اجتماع والتحام.

(٣) الأغاني (٩٧/٢٠).

مقتله

لقد أسرف دعبل الخزاعي في هجاء الناس، فكان حتفه على يد
أحد مهجويه، ومن الملفت للنظر أنه قد تعرض في شعره لخلفاء كثيرين -
كما سبق- إلا أنه نهايته كانت على يد من كان أقل منهم مكانةً وسلطاناً.
فقد قصد دعبل يوماً ما (مالك بن طوق) ومدحه، فلم يرضَ
ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إن ابن طوق وبني تغلبٍ
لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرُهُ^(١)

لم يأخذوا من ديةٍ درهما
يوماً ولا من أرشهم^(٢) بعةً

دماؤهم ليس لها طالب
مطلولة مثل دم العُدْرَةِ

وجوههم بيض وأحسابهم
سود وفي آذانهم صُفْرُهُ

وقال فيه -أيضاً-:

سألت عنكم يا بني مالكٍ
في نازح الأرض وفي الدانية

(١) القصرة: بضم القاف وفتحها: الداني النسب.

(٢) الأرش: الدية.

طُراً فلم تُعرف لكم نسبة
حتى إذا قلتُ بنو الـ..
قالوا: فدع داراً على يمنيةٍ
وتلك ها دارهم ثانية

وبلغت الأبيات مالكا، فطلبه فهرب، فأتى البصرة وعليها
إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن
عبدالمطلب وقد كان بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن أبي عيينة نزاراً،
فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه،
وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث إليه مالكٌ فقبض عليه،
ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه، فجحد القصيدة وحلف عليها
بالطلاق ثلاثاً وبكل يمين تبرئ من الدين أنه لم يقلها، وأن عدواً له
قالها، ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه، ويبكي بين
يديه، فرق له وقال: أما إذ أعفيتك من القتل فلا بد من أن
أشهرك.

ثم دعا له بالعصا فُضرب بها حتى سلَّح^(١) وأمر به فألقي
على قفاه وفتح فمه، فرد سلحه فيه!! والمقارع تأخذ رجله، وهو
يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله، فما رُفعت عنه
حتى بلع سلحه كله! ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز.

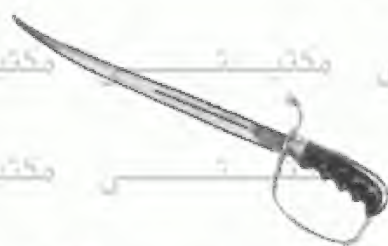
(١) سلَّح: أي تغوط.

فبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً أعطاه سماً وأمره
أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل
الرجل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في
وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، إذ ضرب ظهر قدمه بُعْكَازَ
مسموم فمات من الغد، ودفن بتلك القرية والله أعلم.



مقتل

بشار بن برد



ترجمته^(١)

هو أبو معاذ: بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء، الشاعر
الضريير المشهور، ذكر له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ستة
وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية^(٢).

كان بشار قيناً^(٣) لرجل من الأزد، فتزوج الرجل امرأة من بني
عقيل وساق إليها بشاراً وأمة في صداقها، وكان بشار مكفوفاً
فأعتقته العقيلية، وكان بشار يلقب بالمرعث لقوله:

قال ريم مرعث

ساحر الطرف والنظر

لست والله نائلي

قلت أو يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا

فانج، هل تدرك القمر

(١) انظر ترجمته متوسعة في: الشعر والشعراء (٧٥٧/٢-٧٦٠)، وطبقات ابن المعتز
(٢١-٢١) وتاريخ الطبري (١٨١/٨)، والأغاني (١٢٩/٣)، ووفيات الأعيان
(٢٧١-٢٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٤/٧)، ولسان الميزان (١٥/٢-١٦)،
وغيرها من المراجع. وانظر أيضاً: كتاب إبراهيم المازني (بشار بن برد).

(٢) الأغاني (١٢٩/٣).

(٣) أي عبداً.

ولد بشار بن برد أعمى، فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يُشبهه
الأشياء بعضها ببعض في شعره، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن
يأتوا بمثله، فقليل له يوماً وقد أنشد قوله:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر
الدنيا قط، ولا شيئاً فيها؟!

فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما
ينظر إليه من الأشياء؛ فيتوفر حسه، وتذكو قريحته، ثم أنشدهم قوله:

عَمِيتُ جَنِيناً وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى
فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتِلاً
وَعَاظُ ضِيَاءِ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ وَافِداً
لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلاً
وَشَعَرَ كُنُورِ الْأَرْضِ لَاءَمَتَ بَيْنَهُ
بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرَ أَسْهَلاً

قال الجاحظ عنه: كان بشار شاعراً خطيباً صاحب منشور
ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع
والاختراع المفتتين في الشعر، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه،
وقد قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، وحكي عنه أنه قال:
هجوتُ جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان بشار معدوداً في الشعراء الهجائيين، فكانت تدور بينه وبين كثير من الشعراء النقائض والمهاجاة، حتى استطال في عرض كثير منهم.

لقد اتفق كل من ترجم لبشار بأنه كان من زنادقة الشعراء، وأنه نقلت عنه الأخبار الشنيعة في إغراضه عن الشريعة وتكبه طريق الهدى.

فمن ذلك: أنه كان يصوب رأي إبليس في تقديم وتفضيل النار على الطين، وذكر ذلك في شعره بقوله:

إبليس خير من أبيكم آدم

فتنبهوا يا معشر الضجار

إبليس من نار وآدم طينة

والأرض لا تسمو سمو النار

الأرض مظلمة والنار مشرقة

والنار معبودة مذ كانت النار

وهذا دليل على قلة دينه وسفه رأيه وعقله، أما قلة دينه فبتطاوله على أبي البشر - عليه السلام -، وأما سفاهة عقله فلتفضيله النار على الطين، مع أن العكس هو الصحيح؛ كما بين ذلك العلماء والمفسرون تعليقاً على إبليس اللعين ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فليراجع.

ومن الدلائل على رقة دينه أيضاً، أنه قال مرةً:

قاس الهموم تنل بها نُجُحاً
والليل إن وراءه صُبْحاً
لا يؤيسنك من مخبأةٍ
قولُ تغلظه وإن جَرَحاً
عُسر النساءِ إلى مياسرةٍ
والصعبُ يُمكن بعد ما جَمَحاً

فسمع المهدي بهذا الشعر، فغضب عليه، فاستقدمه، فلما مثل بين يديه استتشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً فغضب وقال: تلك أمك يا عاض كذا من أمه، أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات ؟! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينَّ على روحك.
فقال بشار في ذلك:

والله لولا رضا الخليفة ما
أعطيتُ ضيماً عليّ في شجنٍ
وربما خير لابن آدم في الكـ
ـره وشق الهوى على البدنِ
فاشرب على ابنة الزمان فما
تلقى زماناً صفاً من الأبن^(١)

(١) الأبن : جمع أبنه : وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر.

الله يُعطيك من فواضله
 والمرء يُغض عيناً على الكمن^(١)
 قد عشتُ بين الريحان والراح والمـ
 زهر في ظل مجلس حسن^(٢)
 وقد ملأت البلاد ما بين فـ
 نور إلى القيروان فاليمن^(٣)

ومن مخازي هذا الزنديق: أنه كان يتبع مذهب فرقة من
 الرافضة يقال لهم (الكاهلية) يزعمون أن الصحابة كفروا بتركهم
 بيعة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وكفر علي -رضي الله
 عنه- بتركه قتالهم !!، ف قيل لبشار: ما تقول في الصحابة ؟ !
 فقال: كفروا !

قيل له: فما تقول في علي بن أبي طالب ؟ !
 قال:

وما شر الثلاثة أم عمر
 بصاحبك الذي لا تصحبينا



(١) الكُمن: جمع كمنة، وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه.
 (٢) المزهـر: العود الذي يضرب به للهو.
 (٣) فغفور على وزن عصفور : لقب كل من ملك الصين، وقيل : بلد بالصين.

مقتله

كان بشار يذهب إلى مجلس يعقوب بن داود وزير المهدي
 فيمدحه لعله يحظى عنده بشيء من المال، ولكن الوزير لم يكن
 يعطيه ما تمنى، فمر يعقوب بن داود يوماً ببشار يريد منزله،
 فصاح به بشار:

طال الثواء على رسوم المنزل^(١)

فقال يعقوب:

فإذا تشاء أبا معاذ فارحل!

وقال بشار له مرة:

يعقوب قد ورد العفاة عشية

متعرضين لسيبك المنتاب^(٢)

فسقيتهم وحسبتني كمونة

نبتت لزارعها بغير شراب

مهلاً لديك فإنني ريحانة

فاشمم بأنفك واسقني بذناب^(٣)

(١) الثواء : المقام ؛ أي طال وقوفي ببابك.

(٢) المنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

(٣) ذناب: جمع ذنوب وهو الدلو المملأ.

طال الثواء على تنظر حاجةٍ

شمطت لديك فمن لها بخضاب^(١)

تعطي العزيرة درها فإذا أبت

كانت ملامتها على الحلاب^(٢)

أي أنك من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة العزيرة التي إذا لم يوصل إلى درها فليس ذلك من قبلها، إنما هو من منع الحالب منها.

فلم يعطف عليه يعقوب ولم يُعطه.

عندها انصرف بشار إلى البصرة مغضباً، وهجا يعقوب بقصائد موجعة كان من أشنعها قوله فيه:

بني أمية هبوا طال نومكم

إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا

خليفة الله بين الزق والعود

وقال يهجو صالح بن داود أخو يعقوب لما ولي:

هم حملوا فوق المنابر صالحاً

أخاك فضجت من أخيك المنابر

(١) شمطت: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد.

(٢) العزيرة: الكثيرة الدر.

فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة، ووصل الشعراء،
 وذلك كله على يدي يعقوب بن داود، فلم يُعطِ بشاراً شيئاً من ذلك.
 فجاء بشار إلى حلقة يونس النحوي فقال: هل هنا من
 يُحْتَشِم؟ فقالوا له: لا، فأنشأ بيتاً يهجو فيه المهدي - سيأتي ذكره
 إن شاء الله -، فطار بالبيت أحد الجالسين إلى يعقوب بن داود
 وأبلغه إياه، وكان الوزير قد بلغته أهاجي بشار له، فوجدها فرصة
 لا تُفوت في الانتقام من بشار والسعي في قتله.

فانطلق يعقوب من فوره ودخل على المهدي قائلاً:

يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك!

فقال المهدي: بأي شيء؟!

فقال: بما لا ينطق به لساني، ولا يتوهمه فكري.

فاستحلفه المهدي أن يقول له ما هجاه به بشار.

فقال: أما لفظاً فلا، ولكني أكتب ذلك.

فكتبه ودفعه إلى المهدي، وهو قول بشار:

خليفةٌ يزني بعماته

يلعب بالدبوق والصولجان^(١)

(١) لعبة يلعبها الصبيان كالكرة بالصولجان.

أبدلنا الله به غيـره

ودس موسى في حر الخيزران^(١)

فكاد المهدي ينشق غيضاً، وعمد إلى الذهاب إلى البصرة
للنظر في أمرها، وما همه غير بشار، فلما بلغ البطيحة^(٢) سمع
أذاناً في وقت النهار، فقال: انظروا ما هذا الأذان؟! فإذا بشار
يؤذن سكران!!

فقال له: يا زنديق، عجبتُ أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان
في غير وقت صلاة وأنت سكران؟!

فأمر به فضرب بالعصي - وقيل بالسيف - حتى مات، وألقى
بجثته في البطيحة، ثم جاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة، فدفن
بها.

ومن العجائب أنه لما مات ونعي إلى أهل البصرة تباشـر
عامتهم وهناً بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا، لما كانوا به من
لسانه.

وقال أبو هشام الباهلي في قتل بشار:

يابؤس ميتٍ لم يبكه أحد

أجل ولم يفتقده مفتقد

(١) الخيزران: جارية من جوارى المهدي، وهي أم ولديه موسى وهارون.

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

لا أم أولاده بكتته ولم
يبك عليه لفرقة ولد

ولا ابن أخت بكى ولا ابن أخ
ولا حميم رقت له كبداً

بل زعموا أن أهله فرحاً
لما أتاهم نعيه سجدوا

وقال أيضاً في ذلك:

قد تبع الأعمى قضا عجرد
فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحباً
بروح حماد وبشار

تجاورا بعد تنائيهما
ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعاً في يدي مالك
في النار والكافر في النار

ونحن لا نوافق الشاعر على حكمه بالنار على معين ؛ إلا من
حكم عليه الله تعالى أو رسوله ﷺ . والله أعلم .

ومن أجود وأجمل شعر بشار بن برد قصيدته السائرة
المشهورة في مدح مروان بن محمد بن مروان إذ يقول:

جفا وده فازوراً أو ملّ صاحبه
 وأزرى به أن لا يزال يعاتبه
 خليلي لا تستنكرا لوعة الهوى
 ولا سلوة المحزون شطت حبايبه
 شفى النفس ما تلقى بعبدة عينه
 وما كان يلقي قلبه وطبايبه
 إذا كان ذواقاً أخوك من الهوى
 موجهة في كل أوب ركائبه
 فخل له وجه الفراق ولا تكن
 مطية رحال كثير مذهبه
 أخوك الذي إن ريتَه قال إنما
 أريت وإن عاتبته لأن جانبه
 إذا كنت في كل الذنوب مُعاتباً
 صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
 فعش واحداً أو صل أخاك فإنه
 مفارق ذنب مرة ومجانبه
 إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
 ظمئت، وأي الناس تصفو مشاريه؟
 وليل دجـوجي تنام بناته
 وأبناؤه من هولهِ وربائبه

حَمَيْتُ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنَ مَطِيئَتِي
 لَذِيذَ الْكُرَى حَتَّى تَجَلَّتْ عَصَائِبُهُ
 وَمَاءٍ تَرَى رِيَشَ الْغَطَاطِ بِجَوْهٍ
 خَفِيَ الْجَبَا مَا إِنْ تَبَيَّنُ نَصَائِبُهُ
 قَرِيبٍ مِنَ التَّغْوِيرِ نَاءٍ عَنِ الْقُرَى
 سَقَانِي بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللَّيْلِ دَائِبُهُ
 حَلِيفُ السُّرَى لَا يَلْتَوِي بِمُفَازَةٍ
 نَسَاهُ وَلَا تَعْتَلُ مِنْهَا حَوَالِبُهُ
 أَمَقُّ غَرِيرِي كَأَنْ قَتَوْدَهُ
 عَلَى مِثْلِ يَدَمِي مِنَ الْحُقْبِ حَاجِبُهُ
 غَيُورٌ عَلَى أَصْحَابِهِ لَا يَرُومُهُ
 خَلِيطٌ وَلَا يَرْجُو سِوَاهُ صَوَاحِبُهُ
 إِذَا مَا رَعَى سَنِينَ حَاوِلَ مَسْحَلًا
 يَجِدُ بِهِ تَعْدَامُهُ وَيَلَاعِبُهُ
 أَقْبَ نَفْسِي أَبْنَاءَهُ عَنِ بَنَاتِهِ
 بِذِي الرُّضَمِ حَتَّى مَا تُحَسُّ تَوَالِبُهُ
 رَعَى وَرَعِينَ الرُّطْبَ تَسْعِينَ لَيْلَةً
 عَلَى أَبْقِ وَالرُّوْضَ تُجْرِي مَذَانِبُهُ
 فَلَمَّا تَوَلَّى الْحَرَّ وَاعْتَصَرَ الثَّرَى
 لَظَى الصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لَاهِبُهُ

وطارت عسافيرُ الشقائق واكتسى
من الآلِ أمثالَ الملاءِ مساريهُ
وصدَّ عن الشَّوْلِ القريعُ وأقْصرتْ
ذُرَى الصَّمَدِ مما استودعتهُ مواهبهُ
ولاذَ المَها بالظِّلِّ واستوفضَ السَّفا
من الصَّيْفِ نَاجٌ تخبُّ مواكبهُ
غدَتْ عانة تشكو بأبصارها الصدى
إلى الجأبِ لا أنها لا تُخاطبهُ
وظلَّ على علياءٍ يقسمُ أمرهُ
أيمضي لوردٍ باكرٍ أم يؤاوبهُ
فلما بدا وجهُ الزماعِ وراعه
من الليلِ وجهُ يَمِّ الماءِ قاريهُ
فبات وقد أخفى الظلامُ شُخوصَها
يُنَاهِبُها أمُّ الهُدَى وتناهِبُهُ
إذا رقصتْ في مهمه الليلِ ضمَّها
إلى نهجِ مثلِ المجرَّةِ لاحِبهُ
إلى أن أصابتْ في الغطاطِ شريعةً
من الماءِ بالأهوالِ حُفَّتْ جوانبُهُ
لها صخبُ المستوفضاتِ على الولي
كما صخبتْ في يومٍ قيظٍ جنادِبُهُ

فأقبلها عرض السري وعينه
 ترود وفي الناموس من هو راقبه
 أخو صيغة زوق وصفراء سمحة
 يجاذبها مستحصد وتُجاذبه
 إذا رزمت أنت وأن لها الصدى
 أنين المريض للمريض يجاوبه
 كأن الغنى آلى يميناً غليظة
 عليه خلا ما قربت لا يقاربه
 يقول إلى أم ابنتين يؤوده
 إذا ما أتاها مخفقا أو تصاخبه
 فلمّا تدلى في السري وغره
 غليل الحشا من قانصر لا يواثبه
 رمى فأمر السهم يمسح بطنه
 ولباته فانصاع والموت كارهه
 ووافق أحجاراً ردعن نضيه
 فأصبح منها عامداه وشاخبه
 يخاف المنايا إن ترحلت صاحبي
 كأن المنايا في المقام تناسبه
 فقلت له: إن العراق مقامه
 وخيم إذا هبت عليك جنائبه

لعلك تستدني بسيرك في الدجى
أخا ثقة تجدي عليك مناقبه
من الحي قيس قيس عيلان إنهم
عيون الندى منهم تروى سحائبه
إذا المجدد المحروم ضمت حباله
حبائلهم سيقت إليه رغائبه
ويوم عبوري طغا أو طغا به
لظاه فما يروى من الماء شاربته
رفعت به رحلي على متخطف
يزف وقد أوفى على الجذل راكبه
وأغبر رقااص الشخوص مضلة
موارده مجهولة وسباسبه
لألقى بني عيلان، إن فعالهم
تزيد على كل الضعاف مراتبه
ألا كالألى شقوا العمى بسيوفهم
عن الغي حتى أبصر الحق طالبه
إذا ركبوا بالمشرفية والقنا
وأصبح مروان تعد مواكبه
فأي امرئ عاص وأي قبيلة
وأرعن لا تبكي عليه قرائبه

وسام مروان ومن دونه الشَّجا
وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها
بأسيافنا، إذا ردى من نحابه
وما زال منا ممسك بمدينة
يُراقب أو ثغر تخاف مرابه
إذا الملك الجبار صعر حده
مشينا إليه بالسيوف نعاتبه
فراحوا فريقاً في الإسار ومثله
قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
وأرعن يغشى الشمس لون حديد
وتخلص أبصار الكُماة كتائبه
تغص به الأرض الفضاء إذا غدا
تُزاحم أركان الجبال مناكبه
كان جناباويه من حمس الوغى
شمام وسلمى أو أجا وكواكبه
تركنا به كلباً وقحطان تبتغي
مُجيراً من القتل المثل مقانبه
أباحث دمشقاً خيلنا حين أجمت
وآبت بها مغرور حمص نوائبه

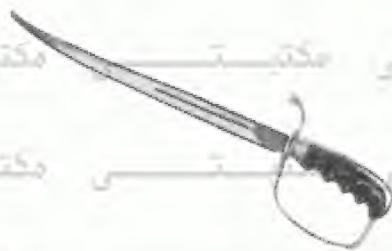
ونالت فلسطيناً فعدّ جمعُها
عن العارضِ المستنُّ بالموتِ حاصِبُهُ
وقد نزلتُ منّا بتدمرَ نوبةً
كذاك عُرُوضُ الشرِّ تعرّو نوائِبُهُ
تعودُ بنفسٍ لا تزلُّ عن الهدى
كما زاغ عنه ثابتٌ وأقارِبُهُ
دعا ابن سماءٍ للغواية ثابتٌ
جهاراً ولم تُرشدْ بنيه تجارِبُهُ
وادی سعيداً فاستصبَّ من الشَّقَا
ذنوباً كما صُبَّتْ عليه ذنائبُهُ
ومن عجبِ سعيِ ابنِ أغنمَ فيهمُ
وعثمان، إنَّ الدهرَ جَمُّ عجائبُهُ
وما منهما إلا وطارَ بشخصِهِ
نجيبٌ وطارتْ للكُلابِ رَواجِبُهُ
أمرنا بهم صدرَ النهارِ فصلُّوا
وأَمسى حميدٌ يَنحتُ الجذعَ صالِبُهُ
وناطَ ابن رُوحٍ للجُماعةِ إنّه
زأرنا إليه فاقشعرتْ ذوائِبُهُ
وبالكوفةِ الحُبلى جَلَبْنَا بخيلِنَا
عليهم رَعيلَ الموتِ إنا جِوالِبُهُ

أَقِمْنَا عَلَى هَذَا وَذَلِكَ نِسَاءَهُ
 مَا تَمَّ تَدْعُو لِلْبُكَاءِ فَتُجَاوِبُهُ
 أَيَّامِي وَزَوْجَاتِي كَانَ نَهَاءَهَا
 عَلَى الْحُزْنِ آرَامُ الْمَلَأَ وَرِيَاءَهُ
 بَكَيْنَ عَلَى مِثْلِ السُّنَانِ أَصَابَهُ
 حَمَامٌ بِأَيْدِينَا فَهَنْ نَوَادِبُهُ
 فَلَمَّا اشْتَفَيْنَا بِالْخَلِيفَةِ مِنْهُمْ
 وَصَالَ بِنَا حَتَّى تَقْضَتْ مَآرِبُهُ
 دَلَفْنَا إِلَى الضُّحَاكِ نَصْرَفُ بِالرَّدَى
 وَمُرَوَّانُ تَدْمَى مِنْ جُذَامٍ مَخَالِبُهُ
 مُعَدَّيْنِ ضَرْغَامًا وَأَسْوَدَ سَالِخًا
 حُتُوفًا لِمَنْ دَبَّتْ إِلَيْنَا عَقَارِبُهُ
 وَمَا أَصْبَحَ الضُّحَاكِ إِلَّا كَثَابَتِ
 عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا الْمَنِيَّةَ تَادِبُهُ



مقتل

وضَّاح اليمَن



مكتبي
سجل من

ترجمته^(١)

قال الدكتور محمد خير البقاعي: «هو عبد الرحمن (أو عبدالله) بن إسماعيل بن عبد كلال. ذكر أبو عبيدة، وابن الكلبي وغيرهما أنه من أصل فارسي، أو أنه من أصل يمني (من آل خولان، الأغاني ٢٢٢/٦) ومن المحتمل أن وضاحاً اسمه الحقيقي، وإن عُدَّ بصفة عامة لقباً له، وذلك لجماله وبهائه».

(١) انظر ترجمته في: كتاب المغتالين لابن حبيب (نوادير المخطوطات) ٢٧٣/٢؛ والأغاني (ط. دار الكتب العلمية - بيروت) (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) الجزء ٦ ص ٢٢٢-٢٥٥، وفوات الوفيات للكتبي (ط. عباس) ٢٧٢/٢-٢٧٣، وتهذيب ابن عساكر ٢٩٥:٧، والنجوم الزاهرة ٢٢٦/١، وتاريخ دمشق (عبادة بن أوفى - عبدالله بن ثوب) وسنرمز له بـ ٢٨٠/٣٨٧. وانظر: سمط اللآلي، الذيل ٤٨. وانظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ط. دار البشائر-دمشق) تحقيق إبراهيم صالح، ط. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٨. وانظر وفيات الأعيان ٤٥/٢، واسمه في الأغاني وفوات الوفيات (عبد الرحمن) انظر وفوات الوفيات (ط. عباس) ٢٥٥/٤. وانظر: الحماسة، شرح التبريزي ١٩٢/٢. ومن الدراسات الحديثة: طه حسين في حديث الأربعاء ٢٣٢٢/١-٢٣٩ (ط. ١٢، دار المعارف)، وبروكلمان في الملحق (بالألمانية) ٨٢-٨٣، وسوزكين، تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢، الجزء الثالث، ١٩٠-١٩١ وكتب عنه بلاشير في تاريخ الأدب العربي (بالفرنسية)، ٦٥١-٦٥٣، والترجمة العربية (ط. ١٩٨٤) ٧٧٤-٧٧٦. وكتاب "مأساة الشاعر وضاح" لأحمد حسن الزيات ومحمد بهجة الأثري، مطبعة العهد، بغداد ١٩٣٥ ومقدمة الدكتور حنا حداد في المورد - العدد الثاني، مج ١٣، ١٩٨٤، والأعلام ٦٩/٤، وكتاب: وضاح اليمن الشاعر وقصته، دراسة تحليلية ونقدية أدبية للدكتور رضا الحبيب السويسي ومنشورات جامعة طرابلس - كلية التربية - أشرف على طبع الكتاب مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. (استفدت الترجمة ومصادرها وحواشيها من مقدمة الدكتور: محمد خير البقاعي لديوان وضاح اليمن، بتصرف يسير).

قال ابن شاعر الكتبي في الوافي (٢/٢٧٢): «وكان من حسنه يتقنع في المواسم مخافة العين...».

وروى صاحب الأغاني قصة في نشأة هذا اللقب وغلبته على اسم الشاعر فقال: «كان وضاح اليمن من أجمل العرب، وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جمد من آل خولان بن عمرو ابن معاوية الحميري، مات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها وانقضت عدتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس، وشبَّ وضاح في حجر زوج أمه، فجاء عمّه وجدّته أم أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حمير من آل ذي فيقان، ثم من آل جدن فادعى زوج أمه أنه ولده، فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة على أنه ولد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه فحكم به الحاكم لهم.

وقد كان اجتمع الحميريون والأبناء^(١) في أمره وحضر معهم، فلما حكم به الحاكم للحميريين مسح يده على رأسه وأعجبه

(١) الأبناء هم أولاد الفرس الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فتصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. انظر اللسان (بني) . وقيل إنهم قدموا مع وهرز الفارسي (Parviz) وقد تصحفت الأبناء في النجوم الزاهرة إلى الأنبار فليعلم. وكانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الحضارمة، وبالشام الجراجمة: انظر حاشية الأغاني ٢٢٣/٦ (البقاعي)

جماله وقال له: «اذهب فأنت وضاح اليمن لا من أتباع ذي يزن»،
فعلقت به هذه الكلمة منذ يؤمئذٍ فُلُقِبَ وضاح اليمن^(١).

وقد وقف القائلون إنه من أبناء الفرس بنسبه عند جده الرابع
لم يتجاوزوه؛ فقالوا: إنه عبدالله (أو عبدالرحمن) بن إسماعيل بن
عبد كلال بن داؤد (أو داود) بن أبي جمد. (انظر الأغاني ٢٢٢/٦).
أما من قالوا: إنه من أصل حميري فقد ذكروا سلسلة نسبه
كاملة فهو: عبدالله (أو عبدالرحمن) بن إسماعيل بن عبد كلال بن
داؤد (أو داود) بن جمد من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية
بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن
زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج - وهو حمير - بن سبأ
بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأورد ابن عساكر في تاريخ دمشق نسبه كالتالي:

«عبدالله بن إسماعيل بن عبد كلال المعروف بوضاح اليمن؛ من
أهل صنعاء من الأبناء. ويقال: عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال
بن داد بن أبي جمد بن آل خولان. لقب بوضاح اليمن لجماله. قيل:
إنه قدم دمشق على الوليد بن عبدالملك فأحسن رفده».

(١) انظر الأغاني ٢٢٢/٦-٢٢٣. وفي حاشيته: أن الأذواء في اليمن طبقتان: طبقة
تعرف بالثمانية، وهم ثمانية ملوك كان لا يصح من ملوك حمير الملك حتى يقيمه
هؤلاء الثمانية، وإن هم اجتمعوا على عزله عزله. والطبقة الثانية أذواء آخرون،
منهم ذو فيقان المذكور في الخبر، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن
علقمة بن ذي جدن الأكبر... (البقاعي).

ويرى الدكتور طه حسين أن قصة صاحب الأغاني عن سبب تلقيبه بوضاح مختلقة من أساسها، متكلفة، صنعها الرواة لكي يبرروا هذا اللقب، ولكي يثبتوا الوجود التاريخي لهذا الشاعر^(١). هذا ما قاله كل من كتب عن الوضاح، ولكن الشيء الذي لم يتنبه لوجوده الدارسون هو ما جاء في تاج العروس (ط. الكويت) (وضح) (٢١٣/٧) يقول المرتضى الزبيدي: «الوضاح (مولى بربري لبني أمية) قال ذلك السكري في قول جرير:

لقد جاهد الوضاح بالحق معلماً

فأورث مجداً باقياً آل بربرا

كان شاعراً، وهو المعروف بوضاح اليمن، وكانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان تحت الوليد بن عبد الملك، وكانت تحب الوضاح.

وفي المضاف والمنسوب للثعالبي: قال الجاحظ: قتل بسبب الفسق ثلاثة من العبيد: وضاح اليمن، ويسار الكواعب، وعبد بني الحسحاس. وإليه نسبت الوضاحية.

وجديد هذا النص أمران: أولهما قوله إن وضاحاً بربري، وقال محمد بن حبيب في شرح ديوان جرير ٤٧٣/١ (ط. دار المعارف) في تعليقه على بيت جرير: «الوضاح: مولى لبني أمية

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٢٣٤ .

صاحب الوضاحية وكان بربرياً». ويقول ياقوت في معجم البلدان (الوضاحية) (٣٧٨/٥): «قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى لبني أمية، وكان بربرياً، قال ذلك السكري في قول جرير: ... البيت. فهو بربري إذن وليس من اليمن. وثانيهما أنه صاحب قرية». وكان وضاح اليمن في أول عهده يمدح الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، ومن ذلك قوله فيه:

صبا قلبي ومال إليك ميلاً
وأرقني خيالك يا أثيلاً^(١)
يمانية تلم بنا فتبدي
دقيق محاسن وتكن غيلاً^(٢)
دعينا ما أمت بنات^(٣) نعش
من الطيف الذي ينتاب ليلاً
ولكن إن أردت فصبحينا
إذا أمت ركائبنا سهيلاً^(٤)
فإنك لو رأيت الخيل تعدو
سراعاً يتخذن النقع ذيلاً

(١) أثيل : ترخيم أثيلة، اسم امرأة.

(٢) المقيل : الساعد الريان الممتلئ.

(٣) بنات نعش : من الكواكب اليمانية.

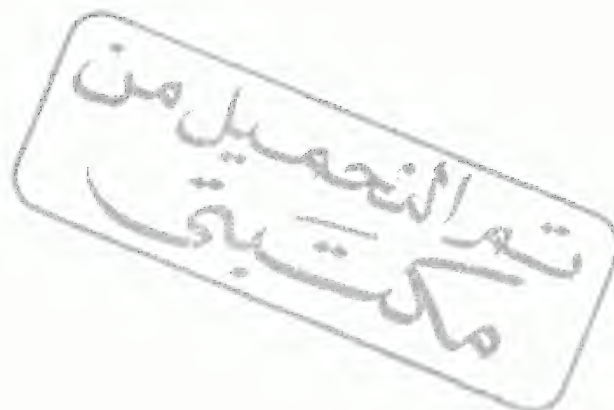
(٤) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن.

إذا لرأيت فوق الخيل أسداً
 تفيد مغانماً وتقيت نيلاً
 إذا سار الوليد بنا وسرنا
 إلى خيل نلف بهن خيلاً
 وندخل بالسروور ديار قوم
 ونُعقب آخرين أذى وويلاً
 فأحسن الوليد رفده، وأجزل صلته، فمدحه وضاح بعده
 قصائد أخرى؛ منها قوله:

ما بال عينك لا تنام كأنما
 طلب الطبيب بها قذى فأضله
 بل ما لقلبك لا يزال كأنه
 نشوان أنهله النديم وعله
 ما كنت أحسب أن أبيت ببلدة
 وأخي بأخرى لا أحل محله
 كنا لعمرك ناعمين بغبطة
 مع ما نحب مبيته ومظله
 فأرى الذي كنا وكان بغرة
 نلهو بغرته ونهوى دله
 كالطيف وافق ذا هوى فلها به
 حتى إذا ذهب الرقاد أضله

قل للذي شغف البلاء فؤاده
 لا تهلكن أخاً فرب أخ له
 والقي ابن مروان الذي قد هزه
 عرق المكارم والندی فأقله
 واشكُ الذي لاقيته من دونه
 وانشر إليه داء قلبك كله
 فعلى ابن مروان السلام من امرئ
 أمسى يذوق من الرقاد أقله
 شوقاً إليك فما تنالك حاله
 وإذا يحل الباب لم يؤذن له
 فإليك أعملت المطايا ضمراً
 وقطعت أرواح الشتاء وظله
 وليالياً لو أن حاضر بثها
 طرف القضيبي أصابه لأشله
 كان وضاح اليمن شاعراً مطبوعاً، جيد الشعر حسنه، تميز
 في الشعر الغزلي الرقيق ومن ذلك قوله:
 حي التي أقصى فؤادك حلت
 علمت بأنك عاشق فأدلت
 وإذا رأتك تقلقلت أحشاؤها
 شوقاً إليك فأكثرت وأقلت

وإذا دخلت فأغلقْتُ أبوابها
 عزم الغيورُ حجابها فاعتلتِ
 وإذا خرجتْ بكتُ عليك صباة
 حتى تبلُ دموعُها ما بليتِ
 إن كنتِ يا وضاح زرتِ فمرحباً
 رَحُبْتُ عليك بلادنا وأظلتِ



مقتله

كعادة معظم الشعراء -إلا من رحم ربي- ممن يتهورون في
قصائدهم ويرتقون مراقي صعبة لا قبل لهم بها؛ إما بهجاء
فاحش، أو تغزل لمن لا يحل لهم، فكذلك صنع وضاح اليمن،
وتدرج به غزله وتشبيبه بالنساء إلى أن طال به زوجة الخليفة
الوليد بن عبد الملك (أم البنين)، فقد نظم فيها الأشعار الكثيرة
مدعياً حبها، ومن ذلك قوله لما سافرت:

صدع البين والتفرق قلبي
وتولت أم البنين بلبي
ثوت النفس في الحمول لديها
وتولى بالجسم مني صحتي
ولقد قلت والمدامع تجري
بدموع كأنها فيض غرب
جزعاً للفراق يوم تولت:
حسبي الله ذو المعارج حسبي

وقال فيها لما مرضت:

حتام نكتم حزننا حتاماً
وعلام نستبقي الدموع علاماً

إن الذي بي قد تفاقم واعتلى
 ونما وزاد وأورث الأسقاما
 قد أصبحت أم البنين مريضة
 نخشى ونُشفق أن يكون حماما
 يا رب أمتعني بطول بقائها
 واجبر بها الأرمال والأيتاما
 واجبر بها الرجل الغريب بأرضها
 قد فارق الأخوال والأعماما
 كم راغبين وراهبين وبؤس
 عصموا بقرب جنابها إعصاما
 بجناب ظاهرة الثنا محمودة
 لا يستطاع كلامها إعظاما

فلما سمع الوليد بن عبد الملك بعض شعر وضاح اليمن في
 زوجته (أم البنين) همّ بقتله، فقال له ابنه عبدالعزيز: لا تفعل يا
 أمير المؤمنين فتُحقق قوله^(١) ولكن افعل كما فعل معاوية بأبي
 دهب؛ فإنه شبيب بابنته فشكاه يزيدُ ابنُه وسأله أن يقتل أبا دهب،
 فقال معاوية: إذا تُحقق قوله، ولكن نبرهُ ونُحسن إليه، فيستحي
 ويكف ويكذب نفسه.

(١) أي إنك إن قتلته قال الناس: لم يقتله الخليفة إلا لاطلاعه على أمر سوء بينه
 وبين زوجته، وهذا من دهاء وحكمة عبدالعزيز.

ولكن الوليد -رغم هذا- لم يقبل من ابنه، وإنما أمر بطلب
وضاح اليمن، فلما قدم عليه أمر جنوده أن يجعلوه في صندوق
ويدفنوه حياً!! والله أعلم^(١).

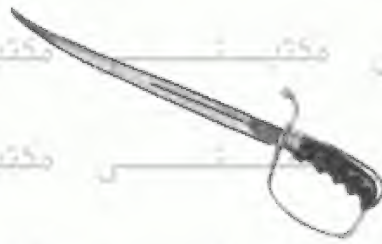


تم النسخ من
مكتبي

(١) دارت بين الأديب أحمد الزيات والشيخ محمد بهجة الأثري مطارحة علمية
(طبعت في كتاب باسم مأساة الشاعر وضاح) حول ثبوت هذه القصة؛ فالزيات
يثبتها، والأثري ينفيها، ولكل حجته وسنده، وكتابنا ليس موضع تحقيق لهذا
الأمر، فمن أراد الاطلاع على أدلة الرجلين فعليه بمقدمة ديوان وضاح اليمن
للدكتور البقاعي -وفقه الله- .

مقتل

السُّلَيْكُ بْنُ السُّلُكَةِ



سُلَيْكُ

ترجمته^(١)

هو السُّليكَ بن عمرو بن يثربي أحد بني مقاعس، ويعود نسبه إلى سعد مناة بن تميم.

والسُّلُكة أمه، وهي أمةٌ سوداء أخذ عنها سواده، وهو أحد صعاليك العرب، وظاهرة التصعلك ظاهرة عرفها المجتمع الجاهلي، قام بها أفراد احتقرهم المجتمع القبلي فعاشوا على هامشه، لكنهم استطاعوا أن يجعلوا من حياتهم أسطورة يتناقلها الناس، لأجل مغامراتهم وتشردهم في الصحراء وبين البلدان. فكان السُّليكَ واحداً من هؤلاء الصعاليك، وكان مشهوراً من بينهم بأنه عداء لا يشق له غبار، حتى ضرب المثل به، فقيل: أعدى من السليكَ .

وعرف السُّليكَ أيضاً بفتكه، وفي سيرته أكثر من قصة تدل على ذلك، منها مثلاً: أنه خرج يوماً ومعه رجلان من بني الحارث ابن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم، وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببیت قد انفرد من البيوت، وقد أمسى، فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي

(١) انظر ترجمته موسعة في: الشعر والشعراء (ص ٢١٥)، والأغاني (٢٠/٣٤٦)، ومقدمة ديوان الشنفرى والسليكَ بن السلُكة للأستاذ طلال حرب.

أهل هذا البيت، فلعلي أصيب لكم خيراً أو آتيكم بطعام، قالوا: نعم فافعل.

فانطلق وقد أمسى وجنّ عليه الليل فإذا البيت بيت رُويم، وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت، فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن أراح ابنه بإبله، فلما أراحها غضب الشيخ وقال لابنه: هلا كنت عشيّتها ساعة من الليل؟

فقال له ابنه: إنها أبت العشاء.

فقال: "العاشية تهيج الآية" فأرسلها مثلاً.

ثم غضب الشيخ ونفض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ، حتى مالت بأدنى روضة فترتعت، وجلس الشيخ عندها لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك، فلما وجد الشيخ مفترأً ختله من ورائه فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر أصحاباه وقد ساء ظنهما وتخوفاً عليه، حتى إذا هما بالسليك يطردها، فطردها معه، وقال سليك في ذلك:

وعاشية راحت بطاناً ذعرتها

بسوط قتيل وسطها يتسيف^(١)

(١) يتسيف: من تسيفه؛ ضربه بالسيف.

كأن عليه لون برد محبر
 إذا ما أتاه صارم يتلهف
 فبات له أهلٌ خلاء فناؤهم
 ومرت بهم طيرٌ فلم يتعيفوا
 وباتوا يظنون الظنون وصحبتني
 إذا ما علواً نشزاً أهلوا وأوجفوا
 وما نلتها حتى تصعلكتُ حقة
 وكدت لأسباب المنية أعرف
 وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
 إذا قمت تغشائي ظلال فأسدف^(١)

ومن مفامراته -أيضاً- أن طلائع من بكر بن وائل أرادت
 الإغارة على بني تميم قوم السُّليك، فقالوا: إن علم بنا السُّليك
 أنذر قومهم، فبعثوا له فارسين ليقتلاه، فلما أحاطا به انطلق
 يمحس^(٢) كأنه ظبي، فطاردها طوال اليوم وقالوا: إذا كان الليل
 أعياه ثم سقط أو قصر عن العدو فناخذه .

فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا عنها
 وندرت^(٣) قوسه فانحطمت، فوجدا رقصدة^(٤) منها قد ارتزت^(٥)

(١) أسدف يسدف: أظلمت عيناه.

(٢) أي يُسرع.

(٣) أي سقطت .

(٤) أي قطعة.

(٥) أي أثبتت.

بالأرض، فقالا: ما له أخزاه الله! ما أشده! وهما بالرجوع، ثم قالا:
لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاجأً قد بال
في الأرض يخذها، فقالا: ماله، قاتله الله! ما أشد مته، والله لا
نتبعه أبداً، فانصرفا.



تم التمهيد من
مكتبة

مقتله

كانت نهاية السليك بن السلُكة في مغامرة من مغامراته التي
اشتهر بها، وبعد أن قال قصيدة أثارت عليه الأعداء.

فقد خرج السليك يوماً يتصعلك، فلقي رجلاً من خثعم في
أرض يقال لها (قمة) بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يقال
للرجل (مالك بن عمرو بن أبي ذراع بن جثم بن عوف)، وكانت مع
الرجل امرأته، فتعاهدا على أن لا يخون الرجل صاحبه، إلا أن
السليك لم يف بعهد، حيث تغافل صاحبه في مغيب له فاعتدى
على زوجته، التي خوفت السليك بقومها، لكنه لم يبال بذلك وأنشأ
يقول:

تهددني كي أحذر العجم خثعماً

وقد علمتُ أنني امرؤ غير مُسلم

وما خثعم إلا لئام أرقعة

إلى الذل فالاسحاق تنمي وتنتمي

فبلغت قصيدته تلك: شبيل بن قلاه وأنس بن مدرك
الخثعميين، فثارت حميتهما لقومهما، فانطلقا مع بعض قومهما في
أثر السليك، الذي لم يرعه إلا وخيلهما قريب منه، فأنشأ يقول:

من مبلغ حرمي أني مقتول

يا رب نهب قد حويت عثكول^(١)

ورب قرن قد تركت مجدول

ورب زوج قد نكحت عطبول^(٢)

ورب عان قد فككت مكبول

ورب وادٍ قد قطعت مسيول

فقال أنس عند ذاك لصاحبه: إن شئت اكفني القوم -أي قوم

السُّليكَ ممن كانوا معه- وأنا أكفيكَ الرجل.

ثم شد أنس على السليكَ فقتله، وقتل شبيل ومن معه

أصحاب السليكَ، ثم قال أنس بعد ذلك عندما طُلب منه أن يدي^(٣)

السُّليكَ: والله لا أديه، وأنشأ يقول:

كم من أخ كريم قد فجعت به

ثم بقيت كأني بعده حجرٌ

لا أستكين على ريب الزمان ولا

أغضي على الأمر يأتي دونه القدرُ

مردى حروب أدير الأمر جائلة

إذ بعضهم لأمر تعتري جزرٌ

(١) أصل العثكول: عذق النخلة

(٢) العطبول: المرأة الحسننة.

(٣) أي يدفع دينه، وكان قود طلبها منه من أجار السليكَ .

قد أظعن الطعنة النجلاء أتبعها
طرفاً شديداً إذا ما يشخص البصرُ

ويوم حمضة مطلوب دلفت له
بذات ودقين لما يُعضها المطر

إني وعقلي سليكاً بعد مقتله
كالثور يُضرب لما عافت البقر

لقد أسرف السليك على نفسه باعتدائه على الآخرين، فكانت
نهيته عقوبة من الله لكل من سعى بالفساد في الأرض.

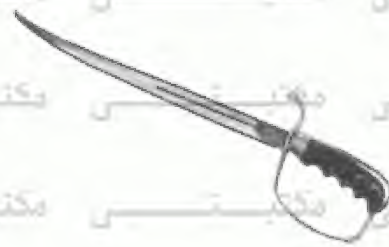


مقتل

هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ

و

زِيَادَةُ بْنُ زَيْدٍ



ترجمتهما^(١)

أما أولهما فهو هُدبة بن خَشْرَم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن بن أسحم بن عامر بن ثعلبة، من عُذرة كان شاعراً فصيحاً من بادية الحجاز، راويةً للأشعار، وكان له ثلاثة أخوة كلهم شاعر: حوط وسيحان والواسع، وكانت حياته زمن خلافة معاوية رضي الله عنه.

وأما الآخر فهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث، من بني رقاش.

مقتلهما بسبب قصائدهما:

تصاحب هُدبة بن خَشْرَم يوماً مع (زيادة بن زيد) وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، وكان مع هُدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز وقال:

عوجي علينا واريعي يا فاطما

ما دون أن يرى البعير قائما

ألا ترين الدمع مني ساجما

حذار دار منك لن تلائما^(٢)

(١) انظرها موسعة في : معجم الشعراء للمرزباني (٤٨٣)، وأسماء المفتالين، لأبي جعفر بن حبيب (نشره عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات، المجلد الثاني)، والأغاني (٢١/٢٧٧-٢٩٨)، والشعر (ص ٤١٦).

(٢) أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه.

فعرّجت مطرداً عراهما

فعماً يبذ القطف الرواسما^(١)

كان في المثناة منه عائماً

إنك والله لأن تباغما^(٢)

خوداً كأن البوصي والمآكما

منها نقاً مخالطٌ حرائما^(٣)

خيرٌ من استقبالك السمائما

ومن منادٍ يبتغي علاكما^(٤)

فغضب هدبة حين سمع هذا الرجز من زيادة في أخته، فنزل
وارتجز بأخت زيادة، وكانت تدعى أم حازم، فقال:

لقد أراني والغلام الحازما

نزجي المطي ضمراً سواهما

من تظنُّ القلص الرواسما

والجلة الناجية العياهما^(٥)

(١) مطرد: أي متتابع السير. وعراهم: شديد، وفعم: ضخم. الرواسم: الإبل التي تسير سيراً فوق العنق.

(٢) المثناة: الزمام. وعائم: سائح. وتباغم: تكلم.

(٣) البوصي: العجز. والمآمتان: ما على يمين العجز وشماله، والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه في العظم.

(٤) العلاكم: الشديد الصلب.

(٥) العياهم: الشداد.

يبلغن أم حازم وحازماً
إذا هبطن مستحيراً قاتماً^(١)

ورجع الحادي لها الهماهما
ألا ترين الحُزن مني دائماً

حذار دار منك لن تلائماً
والله لا يشفي الفؤاد الهائماً

تمساحل اللبات والمأكماً
ولا اللمام دون أن تلازماً

ولا اللثام دون أن تفاقماً
ولا الفقام دون أن تُفاغماً^(٢)

وتعلو القوائم القوائماً

فلما سمع زيادة هذا الرجز شتم هدبة وسبه، فرد عليه هدبة السب. فصاح بهما القوم: اركبا لا حملكما الله! فإننا قومٌ حجاج، وخشوا أن يقع بينهما شر، ووعظوهما؛ حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه. وهدبة أشدهما حنقاً؛ لأنه رأى أن زيادة قد ضامه؛ لأنه رجز بأخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخت زيادة وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة؛ حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما.

(١) المستحير: الطريق الذي يأخذ في عرض مفازة ولا يدري أين منفذه.

(٢) الفقام : النكاح. والفغام: التقبيل.

ثم التقى نفر من بني عامر من رهط هذبة، فيهم أبوجبر، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه، وخشرم أبو هذبة، وزفر عم هذبة، وهو الذي بعث الشر وحجاج بن سلامة، وهو أبوناشب، ونفر من بني رقاش رهط زيادة، وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبدالرحمن ونفاعة وأدرع بواد من أودية حرثهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابنا الغسانية، وهما أدرع وأبوجبر، وكان زفر عم هذبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام أدرع فرجز به فقال:

أدوا إلينا زفرا نعرف منه النظرا وعينه والأثرا

فغضب رهط هذبة، وادعوا حداً على بني رقاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يُدفع إليهم أدرع، فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً، فراح بنو رقاش وقد أضمرُوا الحرب وغضبوا، فقال عبدالرحمن بن زيد:

ألا أبلغ أبا جبررسولا

فما بيني وبينكم عتابُ

ألا تعلم بأن القوم راحوا

عشية فارقوك وهم غضابُ

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغماً

رقاش فزاد الله رغماً سبالها

منعنا أخانا إذ ضررنا أخاكم

وتلك من الأعداء لا مثل مالها

وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كل

واحد منهما العلو على صاحبه في شعره، فمن ذلك قول زيادة في

قصيدة أولها:

أراك خليلاً قد عزمت التجنباً

وقطعت حاجات الفؤاد فأصبحاً^(١)

منها قوله:

وأنت كالناسي الخليل إذ دنت

به الدار والباكي إذا ما تغيباً

وقد أعذرتُ صرف الليالي بأهلها

وشحط النوى بيني وبينك مطلباً^(٢)

فلا هي تألو ما نأت وتباعدت

ولا هو يألو ما دنا وتقربا

أطعتُ بها قول الوشاة فلا أرى الـ

وشاة انتهوا عنه ولا الدهرُ أعتبا

(١) أصحبت: ذل وانقاد

(٢) أعذرت مطلباً: أي بالغت في المطلب ولم تقصر.

فهلا صرمتنا والحبال متينة
 أميمة إن واش وشى وتكذبا
 إذا خفت شك الأمر فارم بعزيمة
 غيابه يركب بك الدهر مركبا
 وإن وجهة سدت عليك فزوجها
 فإنك لا ق لا محالة مذهبها
 يلام رجال قبل تجريب غيبهم
 وكيف يلام المرء حتى يجربا
 وإني لمعرض قليل تعرضي
 لوجه امرئ يوما إذا ما تجنبنا
 قليل عثاري حين أذعر، ساكن
 جناني إذا ما الحرب هرت لتكلبا
 بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل
 قراه ونوبه إذا ما تنؤبا
 ولا تنتجع شرا إذا حيل دونه
 بستر وهب أسبابه ما تهيبا
 أنا ابن رقاش وابن ثعلبة الذي
 بنى هاديا يعلو الهوادي أغلبا
 بنى العز بنيانا ليومي فماصعوا^(١)
 بأسيا فهم عنه فأصبح مصعبا

(١) ماصعوا: قاتلوا وجالدوا.

فما إن ترى في الناس أما كأمنّا
 ولا كأبينّا حين ننسبه أبا
 أتم وأنمى بالبنيين إلى العُلا
 وأكرم منا في المناصب منصبا
 ملَكنا ولم نملك وقُدنا ولم نُقد
 كأن لنا حقاً على الناس تُرتبا^(١)
 بآية أنا لا نرى متتوجا
 من الناس يعلونا إذ ما تعصبا
 ولا ملكاً إلا اتقانا بملكه
 ولا سُوقَة إلا على الخرج أتعبا
 ملكنا ملوكاً واستبحنا حماهم
 وكنا لهم في الجاهلية موكبا
 ندامى وأردافاً فلم تر سوقَة
 توازننا فاسأل إياداً وتغلبا
 فأجابه هدية، فقال:

تذكر شجواً من أميمة منصبا
 تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا

(١) ترتب: ثابت لازم.

تذكر حياً كان في ميعة الصبا
 ووجداً بها بعد المشيب معتباً
 إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها
 فيالك ما عنى الفؤاد وعذبا
 غدا في هواها مُستكينا كأنه
 خلعُ قَداحٍ لم يجد متنشبا
 وقد طال ما علقت ليلي مغمراً^(١)
 وليداً إلى أن صار رأسك أشيباً
 رأيتك في ليلي كذي الداء لم يجد
 طبيباً يداوي ما به فتطبباً
 فلما اشتفى ما به كرطبهُ
 على نفسه من طول ما كان جرباً

فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله، ثم
 هرب مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص،
 فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك
 أقبل حتى أمكن من نفسه، وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً
 حتى ذهب عبدالرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه
 إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها، فمشت قبيلة
 هدبة إلى عبدالرحمن فسألوه قبول الدية فامتنع وقال:

(١) أي غير حدث.

أنختم علينا كلكل الحرب مرة
فنحن منيخوها عليكم بكل

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك
لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس ذي تراب وجندل

كريم أصابته ديات كثيرة
فلم يدر حتى حين من كل مدخل

أذكر بالبقيا على من أصابني
وبقياي إني جاهد غير مؤتلي

فكره سعيد الحكم بينهم، وأرسل بهم جميعاً إلى معاوية
-رضي الله عنه- بالشام، فلما صاروا بين يدي معاوية قال
عبدالرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي،
وقتل أخي، وترويع نسوتي.

فقال له معاوية: يا هذبة قل.

فقال: إن هذا رجل سجاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا
كلاماً أو شعراً فعلت.

قال: لا بل شعراً.

فقال: هذبة هذه القصيدة ارتجالاً.

ألا يا لقومي للنوائب والدهر
وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تأكمت
عليه فوارثه بلماعة قفر
فلا تتقي ذا هيبة لجلاله
ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر
حتى قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا
منايا رجال في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا
وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فإن تك في أموالنا لم نضق بها
ذراعاً وإن صبرُ فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال
لعبدالرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير
لم يبلغ، وأنا عمه ووليّ دم أبيه.

فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق،
والمسور أحق بدم أبيه، فردّه إلى المدينة، فحُبِسَ هدية ثلاث سنين،
حتى بلغ المسور.

فقالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:
 أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا
 أسيركم إن الأسير كريم
 فرب كريم قد قراه وضافه
 ورب أم ——— ورب كلهن عظيم
 عصا جلُّها يوماً عليه فراضه
 من القوم عياف أشم حلیم
 فأرسل هدبة العشيرة إلى عبدالرحمن مرة ثانية في أول سنة
 فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:
 أبعد الذي بالنعف نعف كويكب
 رهينة رمس ذي تراب وجندل
 أذكرُ بالبقيا على من أصابني
 وبقياي أني جاهدٌ غير مؤتلي
 فرجعوا إلى هدبة بالأبيات فقال لم يؤسنني بعدُ، فلما كانت
 السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هدبة إلى عبدالرحمن من كلمه
 فأنصت حتى فرغوا، ثم قام مغضباً وأنشأ يقول:
 سأكذبُ أقواماً يقولون إنني
 سأخذ مالاً من دم أنا ثائره
 ونهض، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال: الآن أيسر
 منه.

وذهب عبدالرحمن بالمسور، وقد بلغ، إلى والي المدينة، وهو
سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة للقتل فلما
مضي به، التفت فرأى امرأته، وكانت من أجمل النساء، فقال:

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا
ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا^(١)

كليلاً سوى ما كان من حد ضرره
أكبيد مبطان العشيات أروعا^(٢)

ضروباً بلحييه على عظم زوره
إذا الناس هشوا للفعال تقنعا

وحلي بذى أكرومة وحمية
وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

فجعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره: ويستتشدونّه،
فأدركه عبدالرحمن بن حسان، فقال له: يا هدبة، أتأمرني أن
أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن
كنت من شرطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

(١) الأنزع: من انحسر شعره عن جانبي جبهته.

(٢) أكبيد: تصغير أكبد، وهو من يشكو من وجع كبده، والأروع هنا الذي يسرع إليه
الارتياح والخوف، ومبطان العشيات الضخم البطن من كثرة الأكل في العشية.

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا
 أغم القضا والوجه ليس بأنزعا
 وكوني حبيساً أو لأروع ماجد
 إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا^(١)
 فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته، فجدعت بها أنفها،
 وجاءته تدمي مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟
 فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت.
 ثم مضى يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه بأسوأ حال، فأقبل
 عليهما قائلاً:

أبلياني اليوم صبراً منكما
 إن حزننا إن بدا بادئ شر
 لا أراني اليوم إلا ميتاً
 إن بعد الموت دار المستقر
 اصبرا اليوم فإني صابر
 كل حي لقضاء وقدر

فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، وقال
 له: أعطيك ما لم يُعطه أحد من العرب، أعطيك مائة ناقة حمراء

(١) الأروع هنا من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته، وقيل: الشهم الذكي
 الفؤاد. والأعشاش جمع عش وهو الطويل القليل اللحم، أو دقيق عظام اليد
 والرجل أو جمع العُش وهو عَش الطائر وشبههم.

ليس فيها جداء^(١) ولا ذات داء، فقال له: والله لو نقبت لي قُبَّتكَ
هذه، ثم ملأتها ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل
سعيد يسأله ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردتُ قبول
الديه لمنعني قوله:

لتجد عن بأيدينا أنوفكمُ
ويذهب القتلُ فما بيننا هدرا
فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

فلما قُرِبَ ليُقتل استأذن أن يصلي ركعتين، فأذن له،
فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر وقال: لولا أن يُظن بي
الجزع لأطلتهما، فقد كنتُ محتاجاً لإطالتهما، ثم أنشأ يقول:

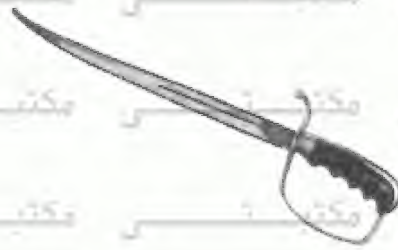
فإن تقتلونني في الحديد فإنني
قتلتُ أخاكم مطلقاً لم يُقَيِّدُ
فقال عبدالرحمن أخو زيادة: والله لا أقتله إلا مُطلقاً من
وثاقه، فأطلق، فقام إليه وهز السيف ثم قال:
قد علمت نفسي وأنت تعلمه
لأقتلن اليوم من لا أرحمه



(١) الجداء: الناقة الذاهبة اللبن من عيب.

مقتل

علي بن جبلة العكوك



ترجمته

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني^(١):

هو عليُّ بن جبلة بن عبدالله الأبنائي، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخُراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحربية من الجانب الغربي. وكان ضريباً، فذكر عطاء الملت أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريباً، وزعم أهله أنه عمي بعد أن نشأ.

قصر شعره على أبي دلف وحميد الطوسي:

وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مداح حسن التصرف. واستتفد شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وأبي غانم حميد بن عبدالحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك، فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسل لسانه من قفاه؛ ويقال: بل هرب، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

(١) كتاب الأغاني ج ١٩، ص (٢٣٢) دار صادر.

اختلافه إلى مجالس الأدب:

أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عمار الثقفي قال: حدثني الحسين بن عبدالله بن جبلة بن علي بن جبلة قال: كان لجدي أولاد، وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرق عليه، فجُدِرَ فذهبت إحدى عينيه في الجدري، ثم نشأ فأسلم في الكتاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز، فوقع على عينه الصحيحة لوزة فذهبت؛ فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هذا الصبي، وإلا صرفتُ بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب. قال: فكنا نأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبنوي، وكان ذكياً مطبوعاً؛ فقال الشعر.

اتهم بانتحال قصيدته في أبي دلف فنجح في الاختبار:

وبلغه أن الناس يقصدون أبا دلف لجوده وما كان يُعطي الشعراء،
فقصده، وكان يسمى العكوك، فامتدحه بقصيدته التي أولها:

زاد ورد الغي عن صدره

وارعوى واللهو من وطره

يقول فيها في مدحه:

يا دواء الأرض إن فسدت

ومديل اليسر من عُسره

كل من في الأرض من عرب
 بين بادية إلى حضرة
 مستعير منك مكرمة
 يكتسيها يوم مفتخره
 إنما الدنيـا أبو دلف
 بين مبداه ومحتضره
 فإذا ولي أبو دلف
 ولت الدنيـا على أثره

فلما وصل إلى أبي دلف، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه، استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك، وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إن المحنة تزيلُ هذا، قال: صدقت، فامتحنوه. فقالوا له: صف فرسَ الأمير، وقد أجَلَّناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول. فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

ريعت لمنشور على مفرقه
 ذم لها عهد الصبا حين انتسب
 أهدابُ شيبٍ جُدُّ في رأسه
 مكروهةُ الجدة أضاء العُقبُ
 أشرقن في أسود أزرين به
 كان دُحاه لهُوى البيض سببُ

واعتقن أيام الغواني والصبيا
 عن ميّت مطلبه حيّ الأدب
 لم يزد جر مُرعوياً حين ارعوى
 لكن يدٌ لم تتصل بمطلب
 لم أركالشيب وقارا يجتوى
 وكالشباب الغض ظلاً يُستلب
 فنازلٌ لم يبتهج بقربه
 وذاهبٌ أبقى جوى حين ذهب
 كان الشباب لمة أزهى بها
 وصاحباً حراً عزيز المصطحب
 إذ أنا أجري سادراً في غيه
 لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب
 أبعدُ شأواً للهو في إجرائه
 وأقصدُ الخود وراء المحتجب
 وأذعر الريرب عن أطفاله
 بأعوجي دُلُفي المنتسب
 تحسبه من مرح العزبه
 مستنفراً بروعة أو ملتهب
 مرتهج يرتج من أقطاره
 كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

تحسبه أقعد في استقباله
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 وهو على إهاقه وطيه
 يقصر عنه المحزمان واللبب
 تقول فيه حنب إذا انثنى
 وهو كمتن القدح ما فيه حنب
 يخطو على عوج تناهين الثرى
 لم يتواكل عن شظى ولا عصب
 تحسبها ناتئة إذا خطت
 كأنها واطئة على الركب
 شتا وقاظ برهتيه عندنا
 لم يؤت من بر به ولا حدب
 يسان عصري حره وقره
 وتقصر الخور عليه بالحب
 حتى إذا تمت له أعضاؤه
 لم تنحبس واحدة على عتب
 رُمنا به الصيد فرادينا به
 أوابد الوحش فأجدي واكتسب
 محتدم الجري يباري ظله
 ويعرق الأحقب في شوط الخبب

إذا تظنينا به صدقنا
 وإن تظني فوته العيرُ كذبُ
 لا يبلغ الجهد به راكبُه
 ويبلغ الريح به حيث طلبُ
 ثم انقضى ذاك كأن لم يعنه
 وكل بقيا فإلى يوم عطبُ
 وخلف الدهر على أبنائه
 بالقدر فيهم وارتجاع ما وهبُ
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسماً
 ينهض به أبلجُ فرّاجُ الكربُ
 كرونق السيف انبلاجاً بالندى
 وكفراريه على أهل الريبُ
 ما وسنت عينُ رأت طلعتَه
 فاستيقظت بنوبة من النوبُ
 لولا ابن عيسى القرمُ كنا هملاً
 لم يؤتثل مجد ولم يرع حسبُ
 ولم يقم في يوم بأسٍ وندى
 ولا تلاقى سببٌ إلى سببُ
 تكاد تبدي الأرض ما تضره
 إذا تداعت خيله هلا وهبُ

ويستهلُّ أملاً وخيفةً
جانِبُها إذا استهلَّ أو قطبُ
وهو وإن كان ابنَ فرعيٍّ وائلٍ
فبمساعيه يوافي في الحسبِ
ويُعْلاه وعُلا ابائه
تحوي غداة السبقِ أخطارُ القصبِ
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى
ويا مجير الرعب من يوم الرهبِ
لولاك ما كان سدى ولا ندى
ولا قريش عُرِفَتْ ولا العربُ
خذها إليك من مليءٍ بالثنا
لكنه غير مليءٍ بالنشَبِ
فأثو في الأرض أو استقرز بها
أنتَ عليها الرأسُ والناسُ الذنبُ

قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسناها من
حضر، وقالوا: نشهد أن قائل هذه قائل تلك، فأعطاه ثلاثين ألف
درهم. وقد قيل: إن أبا دلف أعطاه مئة ألف درهم، ولكن أراها في
دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد.

المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي دُلف:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفاف قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: قال عبدالله ابن مالك: قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بد من إبراز قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال قم فجئتني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد ورد الغيُّ عن صـدره

وارعوى واللـهُوُ من وطره

وأبت البـكاء له

ضحكات الشيب في شعره

ندمي أن الشـباب مـضى

لم أبلّغـه مـدى أشـره

وانقضت أيامه سلـما

لم أجد حـولاً على غـيره

حسرت عني بشاشته

وذوى المحمود من ثمره

ودم أهدرت من رشـاً

لم يرد عـقـلاً على هـدره

فأتت دون الصُّبَا هنةً
قلبت فُوقِي على وتره
جارتا ليس الشَّبَابُ لمن
راح مَحْنِيًّا على كِبَره
ذهبتُ أشياء كنتُ لها
صارها حلمي إلى صورهِ
دعُ جدا قحطان أو مُضِر
في يمانيه وفي مضرهِ
وامتدح من وائل رجلاً
عصر الآفاق في عصرهِ
المنايا في مقانبيه
والعطايا في ذرا حُجرهِ
ملكٌ تندی أناملهُ
كانبلاج النوء من مطرهِ
مستهل عن مواهبهِ
كابتسام الروض عن زهرهِ
جبلٌ عزت مناكبُهُ
أمنتُ عدنان في ثغرهِ
إنما الدُّنيا أبو دلف
بين مبداه ومحتضرهِ

فــــإذا ولى أبو دلف
 ولت الدنيا على أثره
 لست أدري ما أقول له
 غير أن الأرض في خضره
 يا دواء الأرض إن فسدت
 ومُديل اليُسْر من عسره
 كلُّ من في الأرض من عربٍ
 بين بادية إلى حضره
 مستعيرُ منك مكرمةً
 يكتسيها يوم مفتخره
 يقول فيها:

وزحف في صواهله
 كصياح الحشر في أثره
 قد تَهُ والموتُ مكتَمٌ
 في مذاكيه ومشجَره
 فرمت جيلويه منه يد
 طوت المنشور من نظره
 زرتُه والخيْلُ عابسةُ
 تحملُ البؤسى على عقره

خارجات تحت رايتها
 كخروج الطير من وكرة
 وعلى النعمان عجت به
 عوجةً ذاتة عن صدره
 غمط النعمان صفوتها
 فرددت الصفوف في كدره
 ولقُرقور أدت رحاً
 لم تكن ترتد في فكره
 قد تأنيت البقاء له
 فأبى المحتوم من قدره
 وطغى حتى رفعت له
 خطة شعاء من ذكره

قال: فغضب المأمون واغتاض، وقال: لست لأبي إن لم أقطع
 لسانه أو أسفك دمه.

أنشدها أبا دلف بعد قتل قرقور:

قال: ابن أبي فنن: وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة وقصد
 بها أبا دلف بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد
 الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلماناه على القوافل وعلى
 القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينما أبو دلف
 خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور

قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن يُولي عنه فيهلك؛ فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يمنيةً يمنيةً، يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له، فخافه قرقور وعطف على يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره، ونزل فاحتز رأسه، وحمله على رمحه حتى أدخله الكرج.

قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما أنشده علي بن جبلة هذه القصيدة استحسناها وسرّبها وأمر له بمائة ألف درهم.

شهرة القصيدة:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال: أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع أخيه معقل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مرّا بامراتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟

قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنّما الدُّنيا أبو دلفٍ

بين بادية ومحتضرة

فإذا ولي أبو دلف

ولّت الدنيا على أثره

قال: فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمه، فقال معقل: ما لك يا أخي تبكي؟ قال: لأنني لم أقض حقَّ علي بن جبلة. قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي علي أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقّه.

أبو تمام يعجب ببيت له:

حدثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبدُالله بن محمد بن جرير قال: أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائية، فلما بلغت إلى قوله:

وردّ البـيـضَ والبـيـضَ

إلى الأغـمـاد والحـجـبِ

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لوددتُ أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيّرُها وينتخبها مكانه.

شروط المأمون في مدحه:

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني أبو نزار الضبيُّ الشاعر قال: قال لي عليّ بن جبلة قلت لحُميد بن عبد الحميد الطُّوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحتُ أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذاكرني له. قال: فأنشدني، فأنشدته. قال: أشهد أنك صادق، ما يحسن أحد أن

يقول هكذا، وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حميد،
الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً
لمديحه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره
فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلقنا حبسه،
وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن
شاء ألقناه. فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا
بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب في شيء،
فاعرض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعل. قال علي بن جبلة:
فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحب إلي، فأخبر المأمون
بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حميد: يا أبا الحسن أي شيء
يعني من مدائحك لي ولأبي دلف؟ فقلت: قل لي فيك:

لولا حميد لم يكن

حسب يُعد ولا نسب

يا واحد العرب الذي

عزّت بعزته العرب

وقولي في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دلف

بين بادية ومختصره

فإذا ولي أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

قال: فأطرق حميد ثم قال: لقد انتقد عليك أمير المؤمنين
فأجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك
أبا دُلف فأضعف لي العطيّة، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به
أحد خوفاً من المأمون حتى حدّثتك به يا أبا نزار.

يستحي من كثرة برّ أبي دُلف:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدّثني محمد بنُ يزيد: قال:
حدّثني عليُّ بنُ القاسم قال: قال لي عليُّ بنُ جبلة: زرتُ أبا دُلف،
فكنتُ لا أدخل إليه إلا تلقاني ببرّه وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه
حياء منه. فبعث إليّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك
الأمير: لِمَ هجرتنا؟ لعلك استبطأت بعض ما كان مني، فإن كان
الأمر كذلك فإنني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى. فدعوت من
كتب لي، وأملت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته
أن يوصلها، وهي:

هجرتك لم أهجرك من كُفر نعمةٍ

وهل يرتجى نيل الزيادة بالكُفر

ولكنني لما أتيتك زائراً

فأفرطت في برِّي عجزت عن الشكر

فملاّن لا آتيك إلا مسلماً

أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر

فإن زدني براً تزايدتْ جَفوة

ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

قال: فلماً سمعها معقل استحسناها جداً، وقال: جوّدت والله،
أما إنّ الأمير ليُعجب بمثل هذه المعاني، فلماً أوصلها إلى أبي دُلف
قال: لله دَرّه! ما أشعره، وما أرقّ معانيه! ثم دعا بدواة، فكتب إليّ:

ألا ربّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطته

وأنسته قبل الضيافة بالبشر

أتاني يرجّيني فما حال دونه

ودون القرى من نائي عنده ستري

وجدتُ له فضلاً عليّ بقصده

إليّ وبراً يستحقُّ به شكري

فلم أعد أن أدنيه وأبتدأته

ببشرٍ وإكرامٍ وبرٍ على برّ

وزودته مالا قليلاً بقاؤه

وزودني مدحاً يدوم على الدهر

ثم وجّه به هذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف

دينار، فذلك حيث قلت له:

إنّما الدُّنيا أبو دُلف

بين بادية ومحتضرة

ردّه عبدالله بن طاهر:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أن علي بن جبلة خرج إلى عبدالله بن طاهر والي خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألسن القائل:

إنما الدُّنْيَا أبو دُلْفٍ

بين باديهِ ومحتضِرهِ

فإذا ولى أبو دُلْفٍ

ولت الدُّنْيَا على أثرهِ

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدنيا التي زعمت؟ ارجع من حيث جئت، فارتحل، ومرّ بأبي دُلْفٍ وأعلمه الخبر، فوصله بما أَرْضاه. قال نادر: فرأيتَه عند مولاي القاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقال:

أبو دُلْفٍ إن تلقه تلق ما جَدَا

جواداً كريماً راجح الحِلْمِ سَيِّدا

أبو دُلْفٍ الخَيْرَاتِ أُنْدَاهُمْ يَدَا

وأبسط معروفاً وأكرم محتدَا

تراثُ أبيه عن أبيه وجَدُهُ

وكلّ امرئٍ يجري على ما تعودَا

ولستُ بشاكٍ غيرَه لنقيصةٍ
ولكنّما الممدوحُ من كان أمجداً
قصيدة في مدح حميد الطوسي:

قال مؤلف هذا الكتاب: والأبياتُ التي فيها الغناء المذكورة
بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جبلة من قصيدة له مدح بها
حميداً الطوسي، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات
التي فيها الغناء:

ليس لي ذنب ســـــوى أنْ
ي أســـــميك خليلاً
وأناديك عـــــزيزاً
وتناديني ذليلاً
أنا أهواك وحـــــالياً
ك صـــــروماً وووصولاً
ثِق بـــــودٌ ليس يفضني
وبعـــــهدٍ لن يحولاً
جعل الله حـــــميداً
لبنى الدُّنيا كـــــفياً
ملك لم يجـــــعل الله
له له فيهم عـــــديلاً

فأقاموا في ذراه
 مطمئنين حلولا
 لا ترى فيهم مَقِلاً
 يسأل المُثري فُضولا
 جاد بالأموال حتى
 علم الجود البخيلا
 وبنى الفخر على الفخ
 ربناءً مستطيلا
 صار للخائف أمناً
 وعلى الجود دليلاً

رثاء الطوسي:

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي
 من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غناء من الثقيل الأول، يقال: إنه
 لأبي العنبس، ويقال: إنه للقاسم بن زرور:
 ألدَّهْر تبكي أم على الدهر تجزَعُ؟
 وما صاحب الأيام إلا مضجَعُ
 ولو سَهَلْتَ عنك الأسى كان في الأسى
 عزاء مُعزُّ للبيب ومقنعُ
 تعزُّ بما عزيتَ غيرك إنها
 سهام المنايا حائِمات ووقَعُ

أُصَبْنَا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوْ أَنَّهُ
أَصَابَ عُرُوشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُضُ
وَأَدَبْنَا مَا أَدَبَ النَّاسَ قَبْلَنَا
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصْرُمْتُ
بِهِ وَبِهِ كَأَنَّكَ تُذَادُ وَتُدْفَعُ
وَكَيْفَ التَّقَى مَثْوًى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ
عَلَى جَبَلٍ كَأَنَّكَ بِهِ الْأَرْضُ تُمْنَعُ
وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ انْقَضَتْ الْعَلَا
وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وَهُوَ أَجْدَعُ
وَرَاخَ عَدُوَّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَنْتَحِي
أَمَانِيَّ كَأَنَّكَ فِي حَشَاةٍ تَقْطَعُ
وَكَانَ حُمَيْدٌ مَعْقِلًا رَكَعَتْ بِهِ
قَوَاعِدُ مَا كَأَنَّكَ عَلَى الضَّيْمِ تَرْكَعُ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزْنَتْهَا
وَلَمْ أَدْرَأَنَّ الْخَلْقَ يَبْكِيهِ أَجْمَعُ
حِمَامٌ رَمَاهُ مِنْ مَوَاضِعِ أَمْنِهِ
حِمَامٌ كَذَاكَ الْخُطْبُ بِالْخُطْبِ يُقْدَعُ
وَلَيْسَ بَغَزْوٍ أَنْ تَصِيبَ مَنِيَّةَ
حُمَى أَخْتَهَا أَوْ أَنْ يَذِلَّ الْمُمْنَعُ

لقد أدركتُ فينا المنايا بثأرها
وحلّت بخطب وهيّه ليس يُرَقَّعُ
نَعاءٍ حُميداً للسرائيا إذا غدتْ
تذاد بأطرافِ الرّاح وتوزعُ
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره
فلم يدر في حوماتها كيف يصنع
وللبيض خلّتْها البُعول ولم يدع
لها غيره داعي الصّباح المُفزعُ
كأن حُميداً لم يقُدْ جيش عسكر
إلى عسكر أشياعه لا تُروّعُ
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحّا
مراحاً ولم يرجع بها وهي ظلّعُ
رواجع يحملنّ النهاب ولم تكن
كتائبه إلا على النهب ترجعُ
هوئى جبل الدنيا المنيعُ وغيثها الـ
مريعُ وحاميه الكميّ المشيعُ
وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه
ومفتاحُ باب الخطبِ والخطبُ أفضعُ
فأقنعه من ملكه ورياعه
ونائله قُضِرَ من الأرض بُلُقُ

على أي شجو تشتكي النفس بعده
إلى شجوه أو يذخر الدمع مدمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها
عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها
وأجذب مرعاها الذي كان يمرع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة
فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقده روح الحياة كما بكى
نداه الندى وابن السبيل المدفع
وفارقت البيض الخدور وأبرزت
عواطل حسرى بعده لا تقنع
وأيقظ أجزاناً وكان لها الكرى
ونامت عيون لم تكن قبل تهجع
ولكنه مقدار يوم ثوى به
لكل امرئ منه نهال ومشرع
وقد رآب الله الملا بمحمد
وبالأصل ينمي فرعُه المتفرع
أغر على أسيافه ورماحه
تقسم أنفال الخميس وتجمع

حوى عن أبيه بذلَ راحتِه الندى
وطعنَ الكلى والزاعبية شرعُ
أبو تمامٍ والبحتريَّ يأخذان من معانيه:

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرته،
وقد أخذ البحتريُّ أكثر معانيها فسلخه، وجعله في قصيدتيه اللتين
رثى بهما أبا سعيد الثغري:

انظر إلى العلياء كيف تضامُ

و:

بأي أسى تشنى الدموع الهواملُ

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهة الإطالة
لشرحتُ المواضع المأخوذة. وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه.
كرم حميد سبب تجديده في مديحه:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني
أبو وائلة قال: قال رجل لعلِّي بن جبلة: ما بلغت في مديح أحد ما
بلغته في مديحك حميداً الطوسي. فقال: وكيف لا أفعل وأدنى ما
وصل إليّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروزٍ فسُرَّ بها، وأمر
أن يحمل إليّ كل ما أُهدي له، فحمل إليّ ما قيمته مائتا ألف
درهم، وأهديت له قصيدة في يوم عيد فبعث إليّ بمثل ذلك.

وصف جيش عظيم:

قال أبو وائلة: وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم
ولم ير مثله، فقال علي بن جبلة يصف ذلك:

غدا بأمر المؤمنين ويمنه
أبو غانم غدو الندى والسحاب

وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب
أحاط به مستعلياً للمواكب

كان سمو النقع والبيض فوقهم
سماوة ليل قرنت بالكواكب

فكان لأهل العيد عيد بنسكهم
وكان حميد عيدهم بالمواهب

ولولا حميد لم تبلج عن الندى
يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب

ولو ملك الدنيا لما كان سائل
ولا اعتم فيها صاحب فضل صاحب

له ضحكة تستغرق المال بالندى
على عبسة تشجي القنا بالترائب

ذهبت بأيام العلا فارداً بها
وصرمت عن مسعاك شأو المطالب

وعدت ميل الأرض حتى تعدت
 فلم ينأ منها جانبٌ فوق جانبٍ
 بلغت بأدنى الحزم أبعدَ قطرها
 كأنك منها شاهد كلِّ غائبٍ

قصيدة في يوم نيروز:

قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:
 حميدُ يا قاسم الدنيا بنائله
 وسيفه بين أهل النكث والدينِ
 أنت الزمان الذي يجري تصرفه
 على الأنام بتشديد وتلينِ
 لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت
 والمكرمات ومات المجد منذ حينِ
 صورتك الله من مجدٍ ومن كرم
 وصور الناس من ماء ومن طينِ

أبيات في أبي دلف:

نسختُ من كتاب بختٍ محمد بن العباس اليزيدي: قال أحمد
 بن إسماعيل بن الخصيب الكاتب: دخل عليُّ بن جبلة يوماً إلى أبي
 دلف فقال له: هات يا عليُّ ما معك. فقال: إنه قليل.

فقل: هاته، فكم من قليل أجود من كثير، فأنشده:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها
على يديك فشكراً يا أبا دُفٍ
أعطى أبو دُفٍ والريحُ عاصفةً
حتى إذا وقفت أعطى ولم يقفِ
أبو دُفٍ يتطير من شعره:

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه،
فقال له: هات ما معك فأنشده:

من ملك الموت إلى قاسم
رسالة في بطن قرطاس
يا فارس الفرسان يوم الوغى
مرني بمن شئت من الناس

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا
الشعر؛ فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها
هذا المقدار ارتياحنا من حملك، رسالة ملك الموت إلينا.
هجاء الهيثم بن عدي:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن
عُليل العنزي قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني علي بن
جبلة العكوك المروزي قال: جاءني أبو يعقوب الخُرَيْمي فقال لي:
إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عدي.

فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرم يحفظني؟ فقال: تُقرضني، فإني مليّ بالقضاء. قلت: نعم، فأمهلني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بن عديّ نسبة جمعت

آباءه فأراحتنا من العدد

اعدد عدياً فلو مدّ البقاء له

ما عُمّر الناسُ لم ينقص ولم يزد

نفسى فداء بني عبدالمدان وقد

تلّوه للوجه واستعلوه بالعمد

حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم

وعرفوه بذلّ أين أصل عدي؟

يا ابن الخبيثة من أهجو فأفضحه

إذا هجوت وما تُنمى إلى أحد؟

هجاؤه يسبب طلاق امرأة الهيثم:

قال: وكان الهيثم قد تزوّج إلى بني الحارث بن كعب، فركب

محمد بن زياد بن عبیدالله بن عبدالمدان الحارثي، أخو يحيى بن

زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسأله أن

يفرّق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبت عدياً في بني ثعل
فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فهذا الشعر من قاله؟ قالوا:
هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذهل بن ثعلبة،
فأمر الرشيد داود بن زيد أن يفرق بينهما. فأخذه فادخله داراً
وضربه بالعصي حتى طلقها.

مدحه عبدالله بن طاهر واستأذنه في الرحيل:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب قال: شخص
علي بن جبلة إلى عبدالله بن طاهر والي خراسان، وقد مدحه
فأجزل صلته، واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يقيم عنده، وكان
بره يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه
فأنشده:

راعاه الشيب إذ نزل
وكفاه من العذل
وانقضت مدة الصبا
فانقضى الهو والغزل
قد لعمري دملتُه
بخضاب فما اندملُ

فـأبـكِ لـلشـيـبِ إذ بدا
 لا على الربيع والطلل
 وصل الله للأمة
 يرعى الملك فاتصل
 ملك عزمه الزمان
 ن وأفعماله الدول
 كسروى بمجده
 يضرب الضارب المثل
 وإلى ظل عزمه
 يلجأ الخائف الوجل
 كل خلق سوى الإمام
 م لإنعامه خول
 ليت له حين جاد لي
 بالغنى جاد بالقفل

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن

له.

مدح حميد في أول رمضان:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر
 قال: حدثني أبو وائلة السدوسيّ قال: دخل عليّ بن جبلة العكوك
 على حميد الطوسيّ في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزاً
 لحמיד ومتعة في البقاء
 فهو شهر الربيع للقراء
 وفرق الندمان والصهباء
 وأنا الضامنُ المليُّ لمن عا
 قرها مفطراً بطول الظمَاءِ
 وكأنني أرى الندامى على الخس
 فـ يزجو صباحهم بالمساء
 قد طوى بعضهم زيارة بعض
 واستعاضوا مصاحفاً بالغناء
 يقول فيها:

بحميدٍ وأين مثلُ حميد
 فخرت طيئء على الأحياء
 جوده أظهر السماحة في الأر
 ضٍ وأغنى المقوي عن الإقواء
 ملكٌ يأملُ العباد نداه
 مثل ما يأملون قطر السماء
 صاغه الله مطعم الناس في الأر
 ضٍ وصاغ السحاب للإسقاء

يمدحه في شوال:

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوال، فأنشده:

عللاني بصفو ما في الدنانِ
واتركا ما يقوله العاذلانِ
واستبقا فاجع المنية بالعي
ش فكلُّ على الجديدين فاني
عللاني بشربة تذهب الهم
وتنفي سوارق الأحزانِ
وانضًا في مسامع سدها الصو
م رقي الموصلي أو دحمانِ
قد أتانا شوال فاقتبل العي
ش وأعدى قسراً على رمضانِ
نعم عون الفتى على نوب الده
ر سماع القيان والعيدانِ
وكؤوس تجري بماء كروم
ومطي الكؤوس أيدي القيانِ
من عمار تميت كل احتشام
وتسر الندمان بالندمانِ

وكان المزاج يقدحُ منها
 شرراً في سبائك العقيانِ
 فاشرب الراح واعص من لام فيها
 إنها نعم عُدّة الفتیانِ
 واصحب الدهر بارتجال وحلّ
 لا تخف ما يجره الحادثانِ
 حسب مستظهر على الدهر ركناً
 بحُميد رداء من الحدثانِ
 ملك يقـتـني المكارم كنزاً
 وتراه من أكرم الفتیانِ
 خلقت راحتاه للجود والبأ
 س وأمواله لشكر اللسانِ
 ملكته على العباد معدّ
 وأقرّت له بنوق حطانِ
 أريحى الندى جميل المحيا
 يده والسّماح معتقدانِ
 وجهه مشرق إلى معتضيه
 ويداه بالغيث تنضجرانِ
 جعل الدهر بين يوميه قسمي
 ن بعُرفِ جزل وحرّ طعانِ

فإذا سارَ بالخميس لحرب
 كلُّ عن نصِّ جريه الخافقانِ
 وإذا ——— هزرتَه لنوال
 ضاق عن رحب صدره الأفقانِ
 غيـثٌ جـدب إذا أقامَ ربيعُ
 يتغشى بالسَّيب كل مكانِ
 يا أبا غانم بقيتَ على الدهـ
 ر وخلدت ما جرى العصرانِ
 ما نُبالي إذا عدتْك المنايا
 من أصابت بكلِّك وجرانِ
 قد جعلنا إليك بعثَ المطايا
 هرباً من زماننا الخوانِ
 وحملنا الحاجات فوق عتاق
 ضامناتِ حوائج الرُّكبانِ
 ليس جود وراء جودك يُنتا
 ب ولا يعتفي لغيرك عاني
 فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخففتُ
 وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك.

أحبته جارية رغم قبحه:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال:
حدثنا ابن أخي علي بن جبلة العكوك، قال أحمد: وكان علي جارنا
بالربض هو وأهله، وكان أعمى وبه وضح. وكان يهوى جارية أدبية
ظريفة شاعرة وكانت تحبه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من
الوضح، حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ.

قال عمرو: وحدثني العكوك أن هذه الجارية زارته يوماً
وأمكنته من نفسها حتى افترضها. قال، وذلك عنيت في قلبي:

ودم أهدرت من رشـا

لم يرد عقلاً على هدره

حميد يمنعه ثم يأذن له:

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلف، يعني بالدم: دم البضع.
قال: ثم قصدتُ حميداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن
لي عليه أبا أن يأذن لي، وقال: قولوا له: أي شيء أبقيت لي بعد
قولك في أبي دُلف:

إنما الدنيـا أبو دُلف

بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دُلف

ولت الدنيـا على أثره

إنها الدنيا حميد

وأَيَّادِيهِ الْجَمَام

فَإِذَا وَلَّى حَمِيدٌ

فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ

فأمر لي بمائتي دينار، فنثرتها في حجر عشيقتي، ثم جئته
بقصيدتي التي أقول فيها:

دجلة تُسقى وأبو غانم

يُطْعَمُ مَنْ تَسْقَى مِنَ النَّاسِ

فأمر لي بمائتي دينار.

تَغْيِيرُ الْجَارِيَةِ الَّتِي أَحْبَبْتَهُ:

حدَّثني عمي قال: حدَّثني أحمدُ بن الطيب قال: حدَّثني ابن أخي عليُّ بن جبلة أيضاً: أنَّ عمَّه عليّاً كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدة، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها:

تُسِءٌ وَلَا تَسْتَكْرُ السُّوءَ إِنَّهَا

تُدَلِّ بِمَا تَبْلُوهُ عِنْدِي وَتَعْرِفُ

فَمَنْ أَيْنَ مَا اسْتَعِظْهَا لَمْ تَرْقُ لِي

وَمَنْ أَيْنَ مَا جَرَيْتُ صَبْرِي يَضَعُ

في ترك الضيافة:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: تذاكرنا يوماً أقبح ما هُجِيَ به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا عليُّ بن جبلة لنفسه:

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ

وقالوا لا تَنمُ للدَّيْدَبانِ

فإن آنستَ شخصاً من بعيدٍ

فصفِّقْ بالبنانِ على البنانِ

تراهم خشية الأضياف خُرساً

ويأتون الصَّلَاةَ بلا أذانٍ

حميد يعطيه مالا خصَّصه للصدقة:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثني محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني وهب بن سعيد المروزيُّ، كاتبُ حميد الطُّوسِيِّ، قال: جئتُ حميداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إليَّ كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدَّقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرمُ فسَلَّم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك عليُّ بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جيئني بأعمى تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنَّه يجيد فيك القول. قال: فأنشدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

حيدي حَيَادِ فَإِنْ غَزَوَ جَيْشُهُ
 ضَمَنْتَ لَجَائِلَةِ السَّبَاعِ عِيَالَهَا
 فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسَلَّمَ، ثم أنشده قوله:
 إِنَّا أَبَا غَانِمٍ حُمَيْدًا
 غِيثٌ عَلَى الْمُعْتَفِينَ هَامِي
 صَوْرُهُ اللَّهُ سَيْفًا حَتَفَ
 وَبَابُ رِزْقٍ عَلَى الْأَنَامِ
 يَا مَانِعَ الْأَرْضِ بِالْعَوَالِي
 وَالنَّعْمَ الْجَمَّةَ الْعِظَامِ
 لَيْسَ مِنَ السَّوْءِ فِي مَعَاذِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ فِي ذِمَامِ
 وَمَا تَعَمَّدَتْ فَيْكَ وَصْفًا
 إِلَّا تَقَدَّمَتْهُ أَمَامِي
 فَقَدْ تَنَاهَتْ بِكَ الْمُعَالِي
 وَانْقَطَعَتْ مَدَّةُ الْكَلَامِ
 أَجْدَ شَهْرًا وَأَبْلَ شَهْرًا
 وَاسْلَمْ عَلَى الدَّهْرِ أَلْفَ عَامِ
 قال: فالتفت إليَّ حميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى
 يخرج للصدقة غيره.

يتشفع بحميد إلى أبي دُلف:

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثني يعقوبُ بنُ إسرائيل قال: حدَّثني أبو
سُهَيْل عن سالم مولى حميد الطوسي قال: جاء عليُّ بنُ جبلة إلى
حميد الطوسيِّ مستشفعاً به إلى أبي دُلف، وقد كان غضب عليه
وجفاه، فركب معه إلى أبي دُلف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابته
واتصل الحديث بينهما وعليُّ بن جبلة محجوب، فأقبل على رجل
إلى جانبه وقال: أكتب ما أقول لك، فكتب:

لا تتركني بباب الدار مطرحاً

فالحُرُّ ليسَ عن الأحرار يحتجبُ

هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب

ألست أنت إلى معروفك السببُ؟

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

المخزومي يتخرج من الإنشاء في حضرته:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدَّثني
أحمد بن مروان قال: حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال: دخلت على
حميد الطوسي، فأنشدته قصيدة مدحته بها وبين يديه رجل
ضريز، فجعل لا يمرُّ بيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن وحيه!
أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حميد بِبَدْرَةٍ، فلما
خرجتُ قام إليَّ البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرّفوني أولاً من هذا

المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليُّ بنُ جبلة العكوك. فارتفضت عرقاً، ولو علمتُ أنه عليُّ بن جبلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه.

رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه قال: حدثنا أحمد بن عُبَيد بن ناصح قال: كلّم حميد الطُّوسيّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بن جبلة، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال: وأي شيء يقوله فيّ بعد قوله في أبي دُلَف:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ

بين مغزاه ومحتضره

فإذا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ

وَلَّتْ الدُّنْيَا على أثره

وبعد قوله فيك:

يا واحد العرب الذي

عزّت بعزّته العربُ

أحسن أحواله أن يقول فيّ مثل ما قاله في أبي دُلَف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه، فخيرُوه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دُلَف

وصلته، وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أقيه وأعفيه
من هذا وذا. فخيروه بذلك، فاختر الإقالة.

يمدح حميداً الطوسي بخير من مدحه أبا دلف:

ثم مدح حميداً الطوسي، فقال له: وما عساك أن تقول في
بعدهما قلته في أبي دلف، فقال: قد قلت فيك خيراً من ذلك قال:
هات، فأنشده:

دجلة تسقي وأبو غانم
يُطعمُ من تسقي من الناس
الناسُ جسمٌ وإمامُ الهدى
رأسُ وأنت العينُ في الراس

فقال له حميد: قد أجدت، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله.

لا يبلغ شأو الخريمي في الرثاء:

قال أحمد بن عبيد، ثم مات حميد الطوسي، فرثاه علي بن
جبلة، فلقبته، فقلت له: أنشدني مرثيتك حميداً، فأنشدني:

نعاء حميداً للسرايا إذا غدت
تُذاد بأطراف الرماح وتوزعُ

حتى أتى على آخرها، فقلت له: ما ذهب على النحو الذي
نحوته يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بلغت. فقال: وما هو؟ فقلت:
أردت قول الخريمي في مرثيته أبا الهيثام:

وأعددتُه ذخراً لكلِّ مُلْمةٍ

وسهم المُنَايا بالذخائر مَوْلَعُ

فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع في
اللَّحَاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراد ما كان يطمع أن
يقاربه في هذه القصيدة.

غضب المأمون عليه:

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدَّثني
ابنُ أبي حرب الزعفرانيّ، قال: لما بلغ المأمون قول عليّ بن جبلة
لأبي دُلف:

كلُّ من في الأرض من عَرَبٍ

بين باديهِ إلى حضَرهِ

مستعير منك مكرمةً

يكتسيها يومَ مفتخرهِ

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطلب فلم يُقدَر
عليه، وذلك أنَّه كان بالجَبَل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى
الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة
أيضاً، وتوسَّط الشَّام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون،
فلما صار إليه قال له: يا ابن اللُّخناء، أنتَ القائل للقاسم بن
عيسى:

كلُّ من في الأرض من عَرَبٍ
 بين باديهِ إلى حَضْرِهِ
 مستعير منك مكرمةٌ
 يكتسيها يومَ مفتخرِهِ

جعلتنا ممَّن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين،
 أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد؛ لأنَّ الله جلَّ وعزَّ فضَّلكم على
 خلقه، واختاركم لنفسه، وإنَّما عنيت بقولي في القاسم أشكال
 القاسم وأقرانه. فقال: والله ما استثيتَ أحداً عن الكلِّ، سلَّوا
 لسانه من قفاه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدَّثنا محمدُ بن موسى قال:
 وحدَّثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن: أنَّ المأمون لما أُدخل عليه عليُّ بنُ جبلة
 قال له: إنِّي لست أستحلُّ دمَكَ لتفضيلك أبا دُلْف على العرب كلِّها
 وإدخالك في ذلك قريشاً، وهم آل رسول الله ﷺ وعترته، ولكنِّي
 أستحلُّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها
 وتنقل الدهر من حال إلى حال
 وما مددت مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ
 إلا قضيت بأرزاق وأجال

كذبت يا ماصً بظُر أمّه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله،
عزَّ وجلَّ، الملك الواحد القهار. سلّوا لسانه من قفاه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.
وعلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً



تم التجميع من
مكتبة